

God's Remedy For
Rejection

الرفض

Rejection

المشكلة والعلاج الإلهي

DEREK PRINCE

ديريك برنس

الرفض

المشكلة والعلاج الإلهي

ويريك برنس

المحتويات

الفصل الأول: طبيعة الرفض	٥
الفصل الثاني: مصادر الرفض	١٧
الفصل الثالث: الخيانة والخجل	٢٧
الفصل الرابع: نتائج الرفض	٣٥
الفصل الخامس: قمة الرفض	٤٣
الفصل السادس: كيفية استخدام العلاج	٦٣
الفصل السابع: القبول وسط شعب الله	٧٥
الفصل الثامن: المحبة الإلهية	٨٥
نبذة عن الكاتب	١٠١

الفصل الأول

طبيعة الرفض

عانى معظمنا من مشاعر الرفض في مرحلة ما من مراحل العمر، لكن الكثيرين منا لم يدركوا طبيعة هذه المشكلة أو يفهموا آثارها. قد يأخذ الإحساس بالرفض شكلاً هامشياً في حياتك، وقد يكون مدمراً جداً، فيمس حياتك بمجملها، ويؤثر في علاقاتك جميعها.

وإليك بعض الأمثلة:

لم يتم اختيارك في منتخب المدرسة الرياضي، أهملك أحد أصدقائك الأعزاء، أو ربما إحدى صديقاتك، من دون إبداء سببٍ لذلك، لم تتمكن من دراسة التخصص الجامعي الذي تريد، أُقلت من عملك بلا سبب، لقد «استغنوا عن خدماتك!» أما الأسوأ من هذا كله، فهو الألم

الناشئ من أنك لم تشعر أبداً بمحبة أييك، أو شعرت بأن أمك لا ترغب بك، أو انتهى زواجك إلى الطلاق.

مثل هذه التجارب وغيرها، تترك جروحاً دائمة في حياتك، سواء أدركت ذلك أو لم تدركه. إلا أنني أحمل لك أخباراً سارة! يستطيع الله أن يحرك من جروح الرفض، وأن يُعينك على قبول نفسك، وعلى إظهار محبته للآخرين أيضاً. لكن، وقبل أن تتمكن من قبول مساعدة الله، عليك أن تتعرف على طبيعة مشكلتك.

الشعور بالرفض هو الشعور بأن الآخرين لا يريدونك ولا يقبلون بك، أنت ترغب في محبتهم، لكنك متأكد من أنهم لا يحبونك، تريد أن تكون جزءاً من المجموعة، لكنك تشعر بأنك مستثنى دائماً، فكأنك مجرد غريبٍ يراقب من بعيد. هناك جرحان مرتبطان معاً بقوة في هذا المجال: الخيانة والخجل، ويكون ألم الرفض شديداً جداً أحياناً، حتى أن الذهن يرفض التركيز عليه.

مع ذلك، فأنت تعرف أن شيئاً خاطئاً يكمن فيك،
أعمق من الذهن، أعمق من المنطق، وأعمق من الذاكرة،
إنه يكمن في الروح. ويصف سفر الأمثال ذلك قائلاً:
«الْقَلْبُ الْفَرَحَانُ يَجْعَلُ الْوَجْهَ طَلِقاً، وَبِحُزْنِ الْقَلْبِ تَنْسَحِقُ
الرُّوحُ». (أمثال ١٥: ١٣).

ويخبرنا الكتاب أيضاً عن تأثير الروح المنسحقة، أو
المكسورة، على الإنسان فيقول:

«رُوحُ الْإِنْسَانِ تَحْتَمِلُ مَرَضَهُ، أَمَّا الرُّوحُ الْمَكْسُورَةُ
فَمَنْ يَحْمِلُهَا؟». (أمثال ١٨: ١٤)

فالروح المفعمة بالحياة والنشاط تساعد الإنسان على
تجاوز الصعوبات الكبيرة، أما الروح المكسورة فإنها تدفع
بمجاللات الحياة جميعها إلى حالة من الركود والشلل.

تعاني مجتمعاتنا اليوم من انهيار متزايد في الروابط
الإنسانية بشكل عام، وربما وجدت نفسك في مجتمع

مضطرب أو عائلة متحاربة، وحاصرتك نيران المعركة، وكانت النتيجة إصابتك بجروح الرفض. مع ذلك، فأنا أريدك أن تدرك ضرورة البحث عن الجانب المشرق في اللوحة؛ فلكل ليلة مظلمة فجر.

أعتقد أن الشيطان يعرف مسبقاً أن الله يريد أن يستخدمك، فأراد أن يضرب ضربته أولاً. ألا يتضمن ذلك وجهاً من وجوه المدح والتشجيع؟ هذا يعني أن الشيطان خائف مما يمكن أن تكونه أنت في المسيح؟، فلا تفشل. لقد رأيت بنفسي كثيرين بدأوا من الحضيض، وانتهى بهم الحال إلى الرفعة. ويقول الكتاب:

«... لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ». (لوقا ١٤: ١١)

في إنجيل متى، كلمات أعتقد أنها تصف مشاعر المسيح من نخوك: «وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ...» (متى ٩: ٦٣).

الكلمة اليونانية المترجمة «تحن» كلمة مذهلة في قوتها، إنها تتضمن حدوث رد فعل محسوس في جسم الإنسان، يشعر به في أحشائه. وتتزايد حدة هذا الشعور مما يتطلب - بالضرورة - تجاوباً قوياً، فمن تتحرك أحشاؤه بالمحبة والتحن، لا يمكن أن يراقب معاناة من يحبه ثم يقف مكتوف الأيدي، لكنه يتجاوب ويتحرك. والآن، لماذا تحن يسوع؟ يقول الكتاب:

«... إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لَا رَاعِيَ لَهَا.»
(متى ٩: ٦٣).

وقد تصف هذه الكلمات معاناتك تماماً، فأنت تشعر بالانزعاج والسأم والضييق والإحباط والحيرة والخوف والاضطراب منطرحاً تحت أثقال كثيرة، لكن يسوع يراك تماماً كما رأى الجموع من قبل، إنه يتحن عليك، ويتوق إلى شفاء جروحك القاسية.

الأعراض والجذور

ينبغي أن نفهم أولاً حقيقة مشكلة الرفض ما هو سببها؟ ثم، كيف ينبغي التعامل معها وعلاجها؟

انخرطت عام ١٩٦٤ في خدمة المقيدون بأشكال الإدمان المختلفة، كالمدمنين على الكحول أو النيكوتين. وسرعان ما اكتشفت أن حالات الإدمان تلك، ما هي إلا فروع صغيرة نبتت على غصن كبير، وكان هذا الغصن في العادة نوعاً من الإحباط. لذلك، فالحل العملي هو التعامل مع الغصن نفسه، فعندما يُقطع غصن الإحباط، يسهل التعامل مع فروع الإدمان.

وبينما تابعت خدمتي ومصارعتي مع مشاكل الناس الشخصية، تدبرت طريقي بالتدريج مروراً بجذع الشجرة، ووصولاً إلى جذورها المخفية تحت التراب، فجذور حياتنا هي المكان الذي يريد الله أن يعمل فيه.

«وَالْآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ.» (متى ٣: ١٠).

من أين تُقطع الشجرة؟ من أصلها بالطبع، وعندما بلغت أنا إلى أصل الشجرة المطمور تحت التراب، اكتشفت شيئاً أدهشني أول الأمر، وهو أن الرفض هو أحد الجذور الأكثر شيوعاً وهو عامل مشترك في جميع المشاكل الشخصية. لم أتوصل إلى هذا الاستنتاج كعالم اجتماع أو متخصص في علم النفس، بل كمبشر وواعظ.

أرأيت طفلاً يحتضنه أبوه قط، رأسه وجسمه مشدودان إلى صدر أبيه، وتتشبث يده الصغيرة بسترته؟ ربما تحيط به المشاكل والضغوطات من كل جانب، لكنها لا تخيفه أبداً! وجهه ينطق بالأمان، ولم لا، وهو في حضن أبيه؟!

لقد صمم الله طبيعة الإنسان بحيث يدخل الطفل إلى هذا العالم وهو يتوق إلى الأمان ويسعى إليه. ولا يمكن لغير المحبة الشخصية المباشرة أن تشبع هذا الاحتياج، أو أن تملأ هذا الفراغ، خاصة تلك المحبة التي يوفرها الأب، فكل الذين حُرموا من محبة الأب معرضون - بلا استثناء -

إلى جرح الرفض. لقد خيَّب جيل كامل من الآباء آمال أطفالهم في العالم، فكانت النتيجة جيلاً من الشباب والشابات، مشكلتهم الأهم والأعمق هي الشعور بالرفض.

بالإضافة إلى هذه الصورة المشوهة لروابط الأولاد بوالديهم، نضع لمحة من إحصائيات العلاقات الزوجية الفاشلة، والتي تشمل اليوم نحو ٥٠٪ من مجموع الزيجات في العالم. ولا يسلم - في الأغلب - أحد الزوجين أو كلاهما من الشعور بالرفض، ناهيك عن الألم الإضافي الذي يرتبط بخيانة الثقة. وعندما نأخذ ما تعانيه مجتمعاتنا اليوم من ضغوطات، خاصة ما يتعلق منها بتحطم الحياة الأسرية، تزداد قناعاتي بأن ما يزيد على نصف سكان الكرة الأرضية يعانون من أحد أشكال الشعور بالرفض. ولا شك أن الله قد رأى مسبقاً أزمة الروابط المحطمة التي تميز هذه الأيام الأخيرة، فوعده في (ملاخي ٤: ٥ - ٦) قائلاً:

«هَئِنْدَا أَرْسَلُ إِلَيْكُمْ إِلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ

الْيَوْمَ الْعَظِيمِ وَالْمُخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ وَقَلْبَ
الْأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لَعَلَّا آتِي وَأَضْرِبَ الْأَرْضَ بِلَعْنٍ».

فاللعن هو ختام النتائج التي يولدها الرفض الناتج عن
الروابط المحطمة، أما أولئك الذين يلجأون إلى الله من
خلال الرب يسوع، فيعدهم الله بالشفاء من تلك اللعنة.
كيف يكون هذا الشفاء؟ ما هو نقيض الرفض؟ إنه
«القبول» بالطبع، وهو تماماً ما يوفره لك الله إذ تأتي إليه
من خلال يسوع؛ فهو الذي «... سَبَقَ فَعَيَّنَا لِلتَّبَيُّنِ بِيَسُوعَ
الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ
الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحُبَّةِ (يسوع)» (أفسس ١: ٥ - ٦)،
وتوضح الترجمة التفسيرية - كتاب الحياة - معنى هذا النص
بطريقة أقرب إلى الأصل، حيث تضع العدد السادس كما
يلي: «بغرض مدح مجد نعمته، التي بها أعطانا حُظوة لديه
في المحبوب»، فالعبارة «أعطانا حُظوة لديه» تعني «أعطانا
منزلة رفيعة عنده» أي أننا صرنا «مقبولين - accepted»

وقد استخدمت العبارة اليونانية نفسها في إنجيل لوقا عن العذراء مريم، وترجمت «... المنعم عليها» أو «... الممتلئة نعمة» (الترجمة اليسوعية). ف «المنعم عليه» أو من «ينال نعمة» بحسب هذين النصين (أفسس ١: ٦، لوقا ١: ٢٨) هو «القريب أو الأثير أو المفضل أو المقبول»، وتؤكد ترجمتي King James , New King James على هذه المعاني، فعندما تأتي إلى الله من خلال يسوع، تصير «مقبولاً» عند الله كيسوع نفسه.

نعم، إنها حقيقة مذهلة بالفعل كما ترى، فالله يحبك بالطريقة نفسها التي يحب بها يسوع، لقد أصبحت عضواً في عائلة الله.

الخطوة الأولى في الانتصار على مسألة الرفض هي اكتشافها والتعرف عليها، وبعد ذلك يأتي التعامل معها، وسأروي لك قصة قد يساعدك الله من خلالها على اكتشاف المشكلة والتعرف عليها.

خلال الحرب العالمية الثانية، كنت ملحقاً طبياً في صحراء شمال أفريقيا، وكنت أعمل مع طبيب شديد الذكاء، وحدث أن أسقطت إحدى طائرات العدو قنبلة على مقربة منا، وأصيب أحد جنودنا بشظية. جاء الجندي إلى المركز الصحي، وقد ظهر ذلك الجرح الأسود الغائر على كتفه، وباعتباري ممرضاً نشيطاً لدى الرغبة في التعاون وفي عمل ما هو صحيح، قلت للطبيب: «هل أحضر لك ضمادة؟» فقال الطبيب: «لا أحضر المجس (وهو أداة مستديرة ورفيعة لفحص الجرح)». فأعطيته تلك الأداة الفضية الصغيرة، فوضعها في الجرح وبدأ يحركها. في البداية، لم يحدث شيء لكن عندما لامس المجس الشظية داخل الكتف أطلق الجندي صيحة ألم عالية، عندها، عرف الطبيب أنه وجد المشكلة.

بعد ذلك، وجدت نفسي أستأذن الطبيب ثانية قائلاً: «هل أحضر الضمادة الآن؟» فقال: «لا أحضر الملقط»، فأحضرتة، فأدخله في الجرح وسحب الشظية ثم

قال: «الآن أعطني ضمادة»، ربما تضع ضمادة صغيرة من التدين على جرحك، فلا تراه يتماثل إلى الشفاء، فهناك شيء في الداخل يسبب التقيح والالتهاب. لكن إذا لمس مجس الروح القدس شظيةً في أعماقك، فسيعلن لك جذور المشكلة، وعندما تشعر بالمجس يلمس الشظية في أعماقك، اصرخ، لكن لا تقاوم! بل اطلب من الروح أن يستخدم ملقطه لكي يزيل المشكلة، وسوف يوفر الله كل ما تستلزمه عملية الشفاء الحقيقية.

من خلال مواصلة القراءة سوف ترى كيف يمكنك أن تنتقل من الرفض إلى القبول، وكيف تتعامل مع الخيانة والحجل دائماً، وفي الفصل الأخير، ترى كيف تسمح لمحبة الله بأن تفيض من خلالك على الآخرين.

لقد تعاملت بنفسي مع الكثيرين الذين اكتشفوا جروح الرفض وتعافوا منها بنجاح تام، وتستطيع أنت أن تكون واحداً منهم.

الفصل الثاني

مصادر الرفض

لا تخلو علاقة بشرية من خطر التعرض للرفض، يبدأ الرفض أحياناً في أيام الدراسة، ربما لأنك ترتدي ملابس مستعملة، أو لأنك من أصل عرقي مختلف، أو لأنك مصاب بإعاقة جسدية، فصرت محل استهزاء الآخرين في المدرسة. ينزعج الكثيرون من أولئك الذين يختلفون عنهم، فإذا لم يتمكنوا من التكيف معك، يلجأون إلى رفضك. ويأتي أشد أنواع الرفض تدميراً عندما يتعرض طفلٌ إلى رفض أحد والديه. وهناك ثلاث حالات رئيسية – على الأقل – تؤدي إلى ذلك:

أولاً: عدم الرغبة في الطفل أثناء فترة الحمل، فالأم لا تريد ذلك الطفل الذي تحمله في أحشائها، وربما لا تعبر عن ذلك بالكلام، ولكنها تحمل موقف الرفض في أعماقها، ربما جاء الحمل من دون زواج، مما يسبب كراهية

المرأة لذلك المخلوق الذي سيدخل حياتها جالباً كل أنواع المشاكل معه. مثل ذلك الطفل يمكن أن يولد مقيداً بروح الرفض. لقد اكتشفت شيئاً مدهشاً أثناء خدمتي في الولايات المتحدة، وهو أن مجموعة من الناس، في نفس السن تقريباً، يشتركون في شكل من أشكال هذا الشعور المبكر بالرفض. وعندما تتبععت مصدر ذلك، اكتشفت أنهم ولدوا خلال فترة «الكساد العظيم»^(١) ففهمت أن الأم التي لم تكن تجد ما تسد به رمق أولادها الكثيرين، لم تكن لتحتمل فكرة مجيء طفل آخر. وقد أدى ذلك الموقف إلى جرح طفلها، حتى قبل أن يخرج إلى العالم.

ثانياً: حالة الطفل الذي لم يتمتع بمحبة ظاهرة من والديه. هناك ملصقة لطيفة تقول: «هل احتضنت طفلك اليوم؟» وهو سؤال جيد، فالطفل الذي لا يُحتضن، يصبح طفلاً مرفوضاً.

(١) (الكساد العظيم): عانت الولايات المتحدة من فترة ما يسمى بـ «الكساد العظيم» في الأعوام ما بين ١٩٢٩-١٩٣٩، كانت من أعمس الأزمات الاقتصادية، حيث وصل عدد العاطلين عن العمل إلى ١٥ مليون شخص، وأعلنت ثلث بنوك أمريكا إفلاسها.

وقد يحب الوالدان الطفل، ولا يعرفان كيف يعبران عن ذلك. تحدثت مؤخراً مع أفراد يقولون: «أعتقد بأن أبي كان يحبني، لكنه لم يعرف أبداً كيف يظهر ذلك، لم يجلسني يوماً على ركبتيه، لم يفعل أبداً ما يشعرني بحبته.» وقد ينشأ الشعور بالرفض بسبب الأم، وفي الحالتين، يفكر الطفل في نفسه قائلاً: «لا أحد يريدني!»

إذا تحدثت اليوم مع كثير من الأطفال الذين يشعرون بالمرارة تجاه والديهم ويتمردون عليهم، تجدهم يقولون لك: «لقد وفر لنا أهلنا الملابس والمأكول والتعليم وأشياء أخرى كثيرة، لكنهم لم يمنحونا وقتهم؛ أعطونا أشياء كثيرة، لكنهم لم يقدموا لنا أنفسهم. وأعتقد أن هذا هو أحد أسباب التمرد الفظيع الذي حدث في الستينيات، عندما ثار الشباب بمرارة ضد من هم أكبر منهم. ذلك كان رد فعلهم تجاه المادية الخالية من الحب. وكان بعض أولئك الشباب المتمردين ينتمون إلى أسر ثرية

وذاث مراكز مرموقة؁ لقد توفر لهم كل شيء ماعدا الحب؁ وهو ما كانوا في أشد الحاجة إليه.

وقد يعاني من هذا الشكل من أشكال الرفض؁ طفل لوالدين مطلقين. وعادة ما يُترك مثل ذلك الطفل تحت رعاية أمه؁ مع أنه كان يتمتع بعلاقة محبة دافئة بأبيه. وفجأة؁ يختفي الأب الذي ذهب مع «امرأة أخرى» الأمر الذي يترك فراغاً مؤلماً في قلب الطفل.

أما رد فعل ذلك الطفل فهو محصور ما بين مرارة تجاه أبيه وكراهية تجاه المرأة الأخرى؁ وما يبقى بعد ذلك هو جرح عميق من الرفض؁ ولسان حال ذلك الطفل يقول: «لقد تركني الإنسان الذي وثقت به وأحبته أكثر من الكل؁ لن أثق بأحد فيما بعد.»

ويكثر في مثل تلك الحالات أن تعجز الأم أيضاً عن توفير المحبة التي كانت تغمر بها طفلها؁ وذلك بسبب

المسئوليات المتزايدة التي نجمت عن انفصالها عن زوجها. وفي حالة كهذه، يختبر الطفل شعوراً مزدوجاً بالرفض، أولاً من الأب ثم من الأم.

ثالثاً: قد يتعرض الأطفال في العائلة الواحدة إلى تفاوت في محبة الوالدين، سواء كان ذلك مقصوداً أو غير مقصود. لقد لاحظت أن عائلة بها ثلاثة أطفال، يكون فيها البكر ذكياً ولماحاً، فضلاً عن أنه يتمتع بأولوية طبيعية. أما المولود الثاني فيأتي أقل ذكاءً، ثم يأتي الثالث ذكياً؛ مما يسبب شعوراً بالنقص عند المولود الأوسط بالنسبة إلى أخويه. ويميل الوالدان - بشكل ما - إلى مدح الأكبر أو الأصغر، ولا يقولان الكثير عن الأوسط. ويؤدي هذا الوضع في حالات كثيرة إلى شعور المولود الأوسط بالرفض، فيفكر (أو تفكر) قائلاً: «أبي وأمي يحبان أخي الأكبر، ويحبان أختي الصغرى، لكنهما لا يحباني».

من ناحية أخرى، وبدلاً من أن يشعر طفلاً واحداً من

العائلة بالرفض، قد تجد أن طفلاً واحداً يحظى بنصيب وافر من الحب والاهتمام، يفوق جميع ما يُقدم لإخوته الآخرين، وليس ذلك من العدل بشيء. ويكفي أن يقارن طفلاً آخر نفسه بأخيه المفضل أو أخته المفضلة لكي يشعر بالرفض.

أذكر قصة عن أم كان لها ابنتين، وكانت تفضل إحدهما على الأخرى. ويوماً ما، سمعت الأم صوتاً يصدر من غرفة مجاورة، وظنت أنها ابنتها المميّزة، فنادت قائلة: «أهذه أنت يا حبيبتي؟» فأجابت الأخرى: «لا، هذه أنا فقط!».

من ذلك الحين، أدركت الأم فداحة تأثير موقفها على ابنتها، حيث كانت تُفضل أختها عليها، فتابت الأم وأخذت تسعى إلى إصلاح الدمار الذي أصاب علاقتها بابنتها.

مثال آخر على إمكانية تكوّن الشعور بالرفض في مراحل مبكرة جداً، وعن التأثير الروحي الذي يتعرض له الطفل: أقمت قبل سنوات كثيرة بضعة اجتماعات في

كنيسة ميامي، وكنت - قبل ذلك - قد زرت سيدة من أعضاء الكنيسة، وحدث أثناء الزيارة أنني فعلت شيئاً ليس من عادتي، حيث قلت للسيدة: «إن كنت مصيباً فيما أرى، فأنا أعتقد - يا أخت - بأن روح موت يسيطر عليك!»

كان كل ما يجلب السعادة متوفراً لدى تلك السيدة، إلا أنها لم تكن سعيدة أبداً، كان لها زوج صالح وأولاد، إلا أنها كانت بالكاد تبسم أو تفرح، بل كانت كإنسان يعيش حزناً لا ينتهي. قلت لها - ومن النادر أن أقول مثل ذلك لأحد - ولكنني شعرت بأنني ملزم بذلك، فقلت: «سأعظ في كنيسة ميامي مساء الجمعة، إذا جئت، سأصلي من أجلك.»

في بداية الاجتماع، لاحظتها تجلس في الصف الأمامي. ومرة أخرى، فعلت ما لا أفعله عادة، ففي لحظة معينة أثناء الخدمة، مشيت إلى حيث كانت تجلس وقلت: «يا روح الموت، آمرك باسم الرب يسوع أن تجيبي، متى دخلت هذه السيدة؟» فأجاب الروح - لا المرأة - وقال

بوضوح: « عندما كان عمرها سنتين.» فسألتها: «وكيف كان ذلك؟، فأجاب الروح الثانية: « لقد شعرت بالرفض؛ شعرت أن لا أحد يريد لها، شعرت أنها وحيدة.»

لقد تحررت تلك السيدة من روح الموت ذلك المساء، لكن الحادثة شغلت فكري لعدة أيام بعد ذلك. لقد حصلت على فهم جديد لأبعاد تأثير الشعور بالرفض على حياة الإنسان، فبجانب أن الشعور بالرفض سيء بحد ذاته، تراه يفتح الباب أيضاً لمزيد من القوى السلبية الشريرة المدمرة، والتي تدخل وتسيطر تدريجياً على حياة الإنسان. الشعور بالرفض هو بالفعل جذر ينبت منه كل ما هو شرير ومؤذ.

تعاملت - بعد تلك الحادثة - مع عدة مئات من الذين يحتاجون إلى تحرير بسبب التأثيرات الروحية للرفض.

في حالة السيدة التي ذكرناها، كان الكرب والأسى ظاهرين بوضوح عليها، لكن هذا لا يعني أن الشعور

بالرفض يظهر ويُرى بوضوح. يمكن للشعور بالرفض أن يختفي على شكل موقف داخلي غير معلن نحمله معنا وفينا، فالمشكلة تتعلق بعالم الروح أصلاً. لقد علمتني التجربة أن كل شعور أو موقف أو رد فعل سلبي يرتبط بروح من نوعه، فروح خوفٍ يقبع خلف الخوف، وروح غيرَةٍ خلف الغيرة، وروح كراهيةٍ خلف الكراهية.

ولا يعني هذا أن كل من يشعر بالخوف يسكنه روح الخوف، بل يعني أن من لا يضبط نفسه عند الخوف، ويستسلم للخوف باستمرار ومن دون مقاومة، يفتح الباب لإمكانية تدخل روح خوف في حياته. عندها، يفقد الإنسان سيطرته على نفسه في هذا المجال. وهذا ينطبق على المشاعر الأخرى كالغيرة والكراهية، ويكون الشعور بالرفض - في حالات كثيرة - هو المدخل للأرواح الشريرة الأخرى. وقد سبق وذكرنا أن الشعور بالرفض هو الجذر الذي تنمو منه الكثير من المشاعر والمواقف المدمرة.

فيما يلي مثال يوضح المراحل المحتملة لهذه العملية:
تسهر فتاة بالرفض من والدها، وتكرهه لكثرة انتقاده لها وعدم محبته. وتكبر هذه الكراهية وتعمق إلى الحد الذي لا تستطيع معه السيطرة على شعورها هذا. تزوج الفتاة وتنجب أولاداً، لتكتشف بعد فترة أنها تكره أحد أولادها. إنه شعور بغيض وغير منطقي، إلا أنها لا تستطيع السيطرة عليه؛ إنه روح كراهية، وعندما غاب موضوعه الأصلي (الأب)، توجه روح الكراهية إلى عضو آخر في العائلة. ومن الآثار المحتملة لروح الكراهية أن تكره هذه الفتاة كل الرجال، وقد تلجأ إلى السحاق (الشذوذ الجنسي عند المرأة) لكي تتجنب كل احتكاك طبيعي مع الرجال. في الفصل القادم، نبحث في موضوع الخيانة الزوجية، وهو الذي بدوره يولد نوعاً من الشعور بالرفض، وقد اختبره الكثيرون من البالغين. وسنصف أيضاً كيف ترتبط هذه التجربة عادة بالخجل.

الفصل الثالث

الخيانة والخجل

تطرقنا في الفصل السابق إلى وصف بعض أسباب الشعور بالرفض في مراحل الطفولة المبكرة. لكن عندما نكبر فإننا نعرض أنفسنا لاحتمال أكبر من الرفض، وذلك من خلال الزواج. والألم في هذه الحالة مضاعف لأنه مرتبط بالثقة، فهو يقود إذاً إلى الخيانة.

لقد عملتُ، كغيري من الخدام، في مشورة الكثيرات من الزوجات اللواتي يشعرن بفقدان كل شيء. لقد منحن الثقة لأزواجهن، وقدمن أنفسهن لهن بلا تحفظ، لكنهم ذهبوا! فشعرن بالخيانة. وقد تحدثت أيضاً مع أزواج خانتهم زوجاتهم، ورأيت عدة أشكال من الخيانة. هل تعرضت للخيانة يوماً؟ كيف تجاوبت مع ذلك؟

عندما يخونك أحدهم، قد تقول: «لن أفتح قلبي لأحد مرة أخرى، لن أعطى أحداً الفرصة لكي يجرحني فيما بعد.» وهذا رد فعل طبيعي، غير أنه خطر، إذ أنه سيفتح الباب أمام مشكلة أخرى تسمى الدفاعية (Defensiveness) ما هي الدفاعية؟ إنها رد فعل يتخذه من يتعرض للإساءة والتجريح مرة بعد مرة. تقول الدفاعية: «حسناً! سأعيش حياتي، لكنني لن أسمح لأحد بالاقتراب مني لدرجة تمكنه من جرحي ثانية، سأضع جداراً بيني وبين الناس.» فمن الذي يعاني في هذه الحالة؟ إنه أنت! حيث تصبح واهناً غير مكتمل الشخصية، كغصن وحيد مترهل متدلٍ من شجرة.

ويقدم النبي إشعياء صورة مُعبّرة في وصف الخيانة، حيث يُعزّي الرب شعبه راسماً ملامح صورتهم كما يراها، فيشبههم بزوجة رفضها زوجها، وهي حالة مألوفة إلى حد يثير التوتر والانزعاج، حيث يعاني ملايين النساء - خاصة في الغرب - من هذه الحالة.

« لَا تَخَافِي لِأَنَّكَ لَا تَخْرِينَ،
وَلَا تَخْجَلِي لِأَنَّكَ لَا تَسْتَحِينِ.
فَإِنَّكَ تَنْسِينَ خِزْيَ صَبَاكِ،
وَعَارُ تَرْمُلِكَ لَا تَذْكُرِيهِ بَعْدُ.
لَأَنَّ بَعْلَكَ هُوَ صَانِعُكَ رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ،
وَوَلِيِّكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ. إِلَهَ كُلِّ الْأَرْضِ يُدْعَى.
لَأَنَّهُ كَأَمْرَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةٍ الرُّوحَ دَعَاكَ الرَّبُّ،
وَكَزَّوَجَةَ الصَّبَا إِذَا رُذِلَتْ، قَالَ إِلَهُكَ.
(إشعياء ٥٤: ٤ - ٦)

يصل هذا الوصف إلى قمته في العدد الأخير في صورة «... امرأة مهجورة ومحزونة الروح... وكزوجة الصبا إذا رذلت...» والمقطع الأخير هنا يعني: «... كأنني هُجرت في صباها...» (الترجمة العربية الجديدة المشتركة). وهو شعور تعرفه الكثيرات.

وقد ينقلب الأمر أحياناً، فترفض الزوجة زوجها. فمع أننا نعتبر الأزواج هم الأقوى، إلا أنني رأيت وتعاملت مع حالات كثيرة يعاني فيها الزوج من كرب لا يعبر عنه بسبب رفض زوجته له، فقد يشعر بأنه فشل كرجل، وربما يصعب على الرجل أحياناً أن يجوز في مثل هذا النوع من الألم، لأنه يشعر بالخجل، فمجتمعنا يفترض أن الرجل لديه مناعة ضد الألم العاطفي.

وُثِّلَقي هذه الصورة من سفر إشعياء الضوء على أمرين يرتبطان عادة بالخيانة الزوجية. يقول الرب في (إشعياء ٥٤: ٤):

«لَا تَخَافِي لِأَنَّكَ لَا تَخْزِينَ، وَلَا تَخْجَلِي لِأَنَّكَ لَا تَسْتَحِينِ.»
 أي: «... لأن العار لا يلحقك» (الترجمة العربية الجديدة المشتركة). إن تسليم النفس لطرف آخر دون تحفظ، ثم الإفراط في محبته، وتمكينه من حياتك، ثم اكتشاف رفضه لك، غالباً ما يؤدي إلى الخجل والإذلال.

إعلم أنك تعاني من الخجل إن كنت تشعر وتفكر هكذا: «من غير المناسب أن أقابل الآخرين، لا أستطيع النظر إلى وجوههم.» من يشعر بالخجل، يحول بصره عن الآخرين، أو ينظر إلى الأرض عندما يواجه شخصاً آخر. إنه شعور مهين يمنعنا من السلوك الصحي الذي يليق بالإنسان. وهناك أيضاً طريقتان - مجوار الخيانة أو الطلاق - تؤديان إلى تأثر روح الإنسان بالخجل:

أولاً: الإهانة العلنية، ويمكن أن يحدث مثل ذلك في سنوات الدراسة، كما حدث مع ذلك الشاب اليهودي الذي تعرفنا عليه أنا وزوجتي؛ كان الشاب قد قبل المسيح، لكنه مازال يعاني من مشكلة ما. وبينما كنا نتحدث معه يوماً، اكتشفت فيه إحساساً بالخجل، ولما استوضحنا الأمر، عاد بذاكرته إلى أيام الدراسة الثانوية، عندما أعلن المدير في نهاية العام الدراسي بأنه هو الطالب الوحيد الذي رسب، وعليه أن يعيد السنة.

عند تلك اللحظة، تغير الشاب تماماً، دفن مشاعره، وصار مندفعاً وعدوانياً وشديد النشاط في محاولة إثبات أنه الأفضل. لكن إن كان عليك أن تعاني باستمرار لكي تثبت بأنك لست أقل من الآخرين، فأنت في مسار خاطئ بلا شك. لقد احتاج ذلك الشاب إلى اكتشاف الخجل في حياته والإقرار به.

ثانياً: الإساءة الجنسية في الطفولة. وهو أمر شائع بصورة محزنة في مجتمعاتنا، مع أن أحداً لا يشعر بالحرية تجاه مصارحة غيره عن مثل هذه التجارب، وقد يكون الأب أو الجد أو أحد الأقرباء مسئولاً عن الإساءة الجنسية، ولا يعرف الضحية إن كان يستطيع أن يثق بذلك القريب ثانية أم لا، ويصبح فريسة لمشاعر متناقضة، فهو لا يثق بذلك القريب الأكبر سناً، لكنه ملزم بإظهار الاحترام له، وكيف يحترم الطفل أو الطفلة أباً أو قريباً أساء إليه جنسياً؟!

وقد تأخذ حياة ذلك الإنسان مجراها دون أن يسعى لعلاج ذلك التوتر المسيطر عليه، بل يكبت في أعماقه ذلك السر المخجل. إلا أن هناك واحداً فقط تستطيع أن تصارحه بكل شيء، ولا يمكن إحراجهم مهما قلنا، إنه الرب الذي لا تخرجه مشاكلنا مهما ساءت، وهو الذي يتجاوب معك قائلاً: «أنا أعرف ما حدث معك منذ البداية، وما زلت أحبك.»

ومع أن الله يوفر لنا قبولاً تاماً، إلا أن الرفض والخجل والخيانة قد تُؤلّد نتائج بعيدة المدى. هذا ما نأتي إلى وصفه في الفصل التالي.

الفصل الرابع

نتائج الرفض

أعتقد أن النتيجة الأساسية للشعور بالرفض هي عدم القدرة على قبول المحبة أو التعبير عنها؛ فالذي لم يشعر قط بأنه محبوب، لا يستطيع أن يمنح المحبة. هذا ما أكدّه الرسول يوحنا قائلاً:

«نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلًا.» (يوحنا ٤: ١٩).

فمحبة الله لنا حركت بالمقابل محبتنا من نحوه. وتبقى المحبة في حالة سبات، حتى يأتي من يوقظها، ولا يمكن استثارته دون تفاعل بين طرفين. إذاً، إن كان أحد لم يختبر محبة الله أو محبة الوالدين، يمكن أن ينتقل عدم القدرة على المحبة من جيل إلى جيل وهكذا. مثلاً، طفلة تولد في عائلة لا تختبر فيها المحبة، فتشعر بالرفض، وتعجز بدورها عن تقديم المحبة. تتزوج تلك الفتاة وتنجب ابنة، لكنها لا تستطيع منح ابنتها المحبة التي تحتاجها، فتكتسب الابنة

مشكلة والدتها من جديد، وتنتقل هذه المشكلة البغيضة من جيل إلى جيل إلى جيل بلا توقف.

وفي خدمتي مع أشخاص يعانون من مثل هذه المشكلة، كنت أقول أحياناً: «اسمع، ينبغي أن يتوقف هذا التوارث عند حدٍّ ما، فلماذا لا تكون أنت من يضع له حداً، فلا تضطر لنقل مشاعر الرفض للجيل الآتي؟»

لقد أعلن الله على فم حزقيال بأن الأبناء غير ملزمين بتحمل ذنوب آبائهم وأجدادهم:

«وَكَانَ إِلَيَّ كَلَامُ الرَّبِّ: «مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هَذَا الْمَثَلَ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، قَائِلِينَ: الْآبَاءُ أَكَلُوا الْحِضْرَمَ وَأَسْنَانُ الْأَبْنَاءِ ضَرَسَتْ؟ حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، لَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هَذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ. هَا كُلُّ النَّفْسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الْآبِ كَنَفْسِ الْإِبْنِ. كِلَاهُمَا لِي. النَّفْسُ الَّتِي تَخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ... وَمَنْ سَلَكَ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظَ أَحْكَامِي لِيَعْمَلَ بِالْحَقِّ

فَهُوَ بَارٌّ. حَيَاةٌ يَحْيَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.» (حزقيال ١٨: ١-٤، ٩)

فحتى لو فشل والداك في إظهار المحبة، الله لا يريد لك أن تعاني بسبب أخطائهم. وبقبولك لنعمة الله وشفائه، تستطيع أن تقطع هذا الميراث الشرير مرة وإلى الأبد.

بالإضافة إلى عدم القدرة على إظهار المحبة، هناك بعض النتائج الثانوية الأخرى للرفض. وأستطيع أن أقول بأن الرفض يولد ثلاث فئات من الناس:

(١) الإنسان الذي يستسلم.

(٢) الإنسان الذي يتظاهر.

(٣) الإنسان الذي يشعل حرباً.

ننظر أولاً في حالة الإنسان المستسلم، فهو يفكر قائلاً في نفسه: «لا أستطيع أن أحتمل ذلك فيما بعد؛ لا أستطيع احتمال الحياة؛ ليس في يدي حيلة.»

وقد تعلمت من خبرتي في التعامل مع مثل هؤلاء

الناس، أنَّ موقفهم هذا يفتح الباب أمام سلسلة من العواطف السلبية والمواقف الخاطئة التي تتسلسل كما يلي:

الرفض

الوحدة

الشفقة على الذات

التعاسة

الكَآبة

اليأس

الموت أو الانتحار

والنتيجة الأخيرة مأساوية. ومع أن كثيرين لا يُقدِّمون عليها، إلا أنها النتيجة المنطقية لتلك العملية المتسلسلة في المشاعر بسبب الرفض. وأن تتخذ هذه الخطوة شكل الموت الطبيعي أو الانتحار هو أمر يعتمد على البنية العاطفية لكل إنسان، فمن تتميز ردود فعله بالجمود، يستسلم للموت في النهاية. والواقع أن الشعور بالرفض هو عامل مشترك في حالات موت كثيرة تُنسب عادةً إلى أسباب طبيعية.

من يسلك سبل الموت، يحمل في أعماقه رغبة داخلية في الموت. هل نطقَت يوماً بمثل هذه العبارة: «أفضل لو أنني أموت»، أو «ما الفائدة من استمرار حياتي؟» إنها طريقة خطيرة جداً في الكلام، إنها دعوة لدخول روح الموت! من ناحية أخرى، يلجأ ذو المشاعر العدائية إلى الانتحار كحل جذري. مثل ذلك يقول أيضاً: «ما فائدة استمرار حياتي؟» لكنه يضيف: «فلماذا لا أضع بنفسني حداً لها؟» يرى الشخص العدائي في الانتحار وسيلة لجرح أولئك الذين سببوا له الألم، ولسان حاله يقول: «سأنتقم! وسأجعلهم يعانون كما عانيت».

الإحصائيات المتعلقة بالانتحار في الولايات المتحدة مخيفة؛ ففي عام ١٩٩٠ انتحر ما يزيد على خمسة آلاف شاب وفتاة بين الرابعة والخامسة والعشرين من العمر (من إحصائيات مركز الصحة العالمي). وفي معظم الحالات، كان التشخيص يضع الشعور بالرفض كمسبب رئيسي للانتحار. ربما لم يتمكنوا من التعبير عن مشاعرهم بالكلمات، إلا

أنهم كانوا يشعرون في أعماقهم بعدم قبولهم وعدم أهميتهم.

هل تشعر بشيء من الأعراض التي وصفناها في هذا الفصل؟ إذا كنت قد بدأت بفقدان السيطرة على ردود فعلك، فلعلك لا تتصارع مع مواقفك السلبية فحسب، لكنك تواجه تأثيراً شيطانياً يستغل تلك المواقف. فلا تغلق ذهنك أمام هذا الاحتمال، بل إن الوصول إلى بعض الحقائق المؤلمة يمكن أن يكون خطوة كبيرة على طريق الانتصار. في الفصل السادس، سوف تتعلم كيف تصلي ضد تلك التأثيرات الشيطانية.

النوع الثاني من الناس الذين يعانون من الشعور بالرفض، يمثله شخص يرفض الاستسلام، لكنه يبني حائطاً دفاعياً من حوله. وما ذلك إلا واجهة ظاهرية يخفي بها صراعه الداخلي ويكبت حزنه العميق، وعادة ما يصطنع هذا الشخص سعادة سطحية، ويظهر مرحاً، وقد يُكثر في الكلام، إلا أنك تستشف في صوته رنيناً مصطنعاً.

أما المرأة التي تمارس مثل هذا التزييف، فإنها تبالغ في زينتها، وتكثر من الحركات الإيمائية أثناء الكلام، وترفع صوتها بطريقة ملفتة، وذلك في محاولة يائسة للظهور بمظهر الفرح، وكأنها ليست متألّمة، أو كأن لا شيء يهّمها، بينما هي تقول في داخلها: «لقد جُرحت مرةً جرحاً بليغاً، ولن أعطي الفرصة لأحد لكي يجرحني مرةً أخرى.» (وهذا هو رد الفعل تجاه الخيانة في الأغلب) وهناك ألوف لا تحصى ممن تنطبق عليهم هذه الحالة في مجتمعاتنا اليوم.

النوع الثالث يتحول إلى محارب؛ إنسان يحارب كل شيء. ويبدو ترتيب ردود الفعل في هذه الحالة كما يلي:

- | | |
|-----------------|-----------------|
| (١) شعور بالرفض | (٢) استياء وغيظ |
| (٣) كراهية | (٤) تمرد |

أما التمرد فهو والعِرافة توأمان، حيث يقول الكتاب:

«لَأَنَّ التَّمَرَّدَ كَخَطِيئَةِ الْعِرَافَةِ...» (١ صموئيل ١٥: ٢٣).

والعرافة هي السحر والتنجيم، أي البحث عن تجربة روحية مزيفة. ويتضمن السحر جلسات استحضار الأرواح، وقراءة الحظ، وخرائط التنجيم بهدف كشف الطالع، والمخدرات، وكل ما يتعلق بهذا المجال بأكمله.

إنها فعلاً تعبيرٌ عن التمرد؛ إنها تحوُّلٌ عن الله الحي الحقيقي إلى مصدر آخر زائف؛ إنها كسر للوصية الأولى: «لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهٌ أُخَرَى أَمَامِي» (خروج ٢٠: ٣).

وقد اجتاز جيل الشباب في الستينيات في هذه الطريق، ابتداءً بالغیظ، مروراً بالكراهية والتمرد، وصولاً إلى السحر والشعوذة. وكما ذكرت سابقاً، لم يكن السبب في ذلك هو استنكارهم للأمور المادية، بل افتقارهم إلى الشعور بأنهم محبوبون، وهو كل ما كانوا يريدونه فعلاً.

والآن، تعالوا نرى ما عمله يسوع لشفاء جروح الشعور بالرفض.

الفصل الخامس

قمة الرفض

كل ما يقدمه الله في الإنجيل، إنما يقدمه على أساس من الحق أو الحقائق. ويمكن تلخيص طريقة الله في العطاء بثلاث كلمات متسلسلة:

الحقيقة، الإيمان، الشعور. ويعتمد الإنجيل على ثلاث حقائق بسيطة نجدها في (١ كورنثوس ١٥: ٣ - ٤):

(١) مات المسيح من أجل خطايانا حسب الكتب.

(٢) دُفن.

(٣) قام في اليوم الثالث.

هذه الحقائق الثلاث هي أساس الإنجيل كله، إنها (الحقائق). ويتبنى الإيمان الحقائق، يبدأ بها، يصدقها ويسلك بموجبها. وبعد الإيمان تأتي المشاعر.

والفرق كبير جداً بين أن تبني إيمانك على الحقائق أو تبنيه على المشاعر، فستعاني حتماً من القلب والتقلقل وعدم الاتزان؛ فمشاعرك تتغير بتغيُّر الظروف. إن أردنا أن نمو ونتقدم كمؤمنين، علينا أن نتعلم فن تصديق الحقائق، حتى عندما تغالطنا المشاعر وتدفعنا إلى الشك.

أما بخصوص الشعور بالرفض، فهناك حقيقتان أساسيتان ينبغي التمسك بهما، هذا إن أردنا أن نتمتع بما توفره لنا نعمة الله لحل هذه المشكلة:

(١) لم يقدم الله كمّاً هائلاً من العطايا المتنوعة لسد احتياجات البشرية المتنوعة، لكنه قدم عطية واحدة شاملة وكافية لكل احتياجات الناس جميعاً، وهي موت يسوع على الصليب.

(٢) ما حدث على الصليب كان مبادلة عظيمة أعدها الله نفسه، فما هي تلك المبادلة؟ كل النتائج الشريرة لخطايانا

يحملها يسوع، بالمقابل، كل بركات طاعة يسوع المنزهة عن الخطية تصبح من حقنا. ومن الواضح أننا لم نفعل من جانبنا ما يجعلنا مستحقين لذلك، بل أننا لا نملك حق المطالبة به، إنها عطية منحتها لنا بحبة الله غير المحدودة.

• «لأنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لَأَجْلِنَا، لِتَصِيرَ نَحْنُ بَرًّا لِلَّهِ فِيهِ.» (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

• «الْمَسِيحُ اقْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ التَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لَأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ». لِتَصِيرَ بَرَكَهَ إِبْرَاهِيمَ لِلْأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِتَنَالَ بِالْإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ.» (غلاطية ٣: ١٣ - ١٤).

• «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ.» (٢ كورنثوس ٨: ٩).

• «... لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ.» (العبرانيين ٢: ٩).

هل ترى المبادلة؟ أخذ المسيح خطايانا، لننال نحن بِرَّه؛ أخذ لعنتنا، لننال بركته؛ أخذ فقرنا، لننال غناه؛ أخذ موتنا، لننال حياته. أليس هذا رائعاً؟!

وتتضمن هذه المبادلة أيضاً مواجهة مشكلة الخجل والشعور بالرفض، حيث نقرأ في (عبرانيين ١٢: ٢):

«نَاطِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السَّرُورِ الْمُؤْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ [الخجل] ...»

كان يسوع مدركاً تماماً لما سيواجهه من عار وإذلال علني على الصليب، ولقد كان الإذلال والخزي والعار من الأهداف الأساسية لفكرة الإعدام بالصلب، حيث يعلق الإنسان عارياً على الصليب، ويمر به الناس وهم يرمونه بكلمات الازدراء والاحتقار، مستهزئين به منتقصين من قدره، بل وربما يلجأون إلى تعبيرات قذرة نترفح عن وصفها هنا.

وكان إشعياء قد لَمَعَ آلام يسوع في رؤياه النبوية التي تعود إلى سبعة قرون قبل الصليب، فقال على لسان المسيح المتألم:

«بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبُصْقِ.» (إشعياء ٥٠: ٦).

لقد تحمل المسيح العار طوعاً من أجلنا، فماذا قدم لنا الله بالمقابل؟ نعود ثانيةً إلى سفر إشعياء حيث نقرأ:

«عَوْضاً عَنْ خِزْيِكُمْ ضِعْفَانٍ، وَعَوْضاً عَنِ الْخُجَلِ يَبْتَهِجُونَ بِنَصِيْبِهِمْ...» (إشعياء ٦١: ٧).

إذاً هي البركة والابتهاج والكرامة عوضاً عن الخزي والخجل والعار. بل إن (عبرانيين ٢: ١٠) يقدم المزيد عن هدف موت يسوع، وهو أن يأتي يسوع «... بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ...»؛ فالبركة والابتهاج والكرامة والمجد أيضاً، هي نصيبنا عوضاً عن الخجل والإذلال. ونأتي الآن إلى

الجرح الأعماق: الرض. لقد تحمل يسوع رضاً مزدوجاً، أولاً: من الناس، ثم من الآب نفسه. ويضع إشعياء حقيقة ما عاناه يسوع من رض أهله وأبناء وطنه له بهذه الصورة المؤثرة:

«مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ. رَجُلٌ أَوْجَاعٌ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكُمُسْتَرٍّ عَنْهُ وَجُوهُنَا. مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدْ بِهِ.» (إشعياء ٥٣: ٣).

لكن هناك ما هو أسوأ من ذلك. تأمل في اللحظات الأخيرة ليسوع على الصليب كما يصفها متى:

«وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِلَيَّ إِلَيَّ، لَمَّا سَبَقْتَنِي» [أَي: إِلَهِي إِلَهِي، لَمَّا ذَا تَرَكْتَنِي؟]، فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيْلِيَّا». وَلِلْوَقْتِ رَكُضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلَأَهَا خَلاً وَجَعَلَهَا عَلَى فَمِهِ وَسَقَاهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا:

«اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِلَيْنَا يُخَلِّصُهُ». فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضاً
بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. (متى ٢٧: ٤٥ - ٥٠).

ولأول مرة في تاريخ الكون، يصلي ابن الله ولا يستجيب له الأب! لقد حول الله الأب عينيه عن ابنه، وأغلق أذنيه عن صراخه. لماذا؟! لأن يسوع في تلك اللحظة، كان قد تطابق مع خطايانا أو امتزج بها - إن صح التعبير - فكان موقف الله الأب من يسوع هو - بالضرورة - موقف البر الإلهي من الخطية، وهو موقف «رفض الشركة» إنه رفض كلي ومطلق، ولم يحتمل يسوع ذلك من أجل نفسه، بل لكي يجعل من نفسه ذبيحة خطية يقدمها من أجلنا.

وأن يتكلم يسوع بالآرامية في تلك اللحظة، أمر يعني الكثير بالنسبة إليّ. لقد رأيت مثل ذلك في زياراتي للمستشفيات، فعندما يُوضع الإنسان تحت ضغط حقيقي، كمرض شديد وعسير الشفاء وربما يقف به هذا المرض على أبواب الموت، يعود ذهن ذلك الإنسان إلى لغته الأم التي

تلقاها في طفولته. لقد لاحظت ذلك مراراً كثيرة، خاصة ذلك المشهد الذي مازالت تنبض به ذاكرتي، حيث كانت زوجتي الأولى «ليديا» تلفظ أنفاسها الأخيرة حين همست قائلة: «Tak for blodet, tak for blodet» وهذا يعني في لغتها الدنمركية الأم: «شكراً لك من أجل الدم».

وفي مشهد الصليب صورة حية تشير إلى إنسانية يسوع، حيث عاد به ذهنه إلى اللغة التي تحدث بها في صباه، فصرخ بالآرامية. تخيل الظلمة الحالكة في ذلك المشهد، تأمل في الوحدة وفي مشاعر الرفض المطلق التي عانى منها يسوع من الناس أولاً، ثم من الله الآب نفسه. ربما عانينا أنا وأنت من بعض الرفض، لكن ليس بالمقياس الذي عانى به يسوع أبداً. لقد تجرع يسوع كأس الرفض المرة حتى آخر قطرة؛ كان من الطبيعي أن يعيش بضع ساعات أخرى معلقاً على الصليب، لكنه مات مكسور القلب قبل ذلك، ما الذي كسر قلب يسوع؟ إنه الرفض.

انظر بعد ذلك إلى النتيجة الفورية المؤثرة:

«وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلٍ قَدْ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى
أَسْفَلُ، وَالْأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، ...» (متى ٢٧: ٥١).

ماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أن الحاجز الذي بين الله
والإنسان قد زال، وأن الطريق إلى الله أصبحت مفتوحة
أمام الإنسان بلا خجل، ولا خوف، ولا شعور بالذنب. لقد
أخذ يسوع مشاعر الرفض منا، لكي ننال قبوله. هذا ما
يعنيه شق الحجاب. لقد كان رفض الآب ليسوع أعظم
من أن يُحتمل، لكن شكراً لله، فالنتيجة هي حرية دخولنا
المباشر إلى حضرة الله.

لننظر الآن إلى بعض تفاصيل قبول الله لنا:

«مُبَارَكُ اللَّهِ أَبُورَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا
بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا
فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ

فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَا لِلتَّبَعِي يَسُوعَ الْمَسِيحَ لِنَفْسِهِ،
حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا
عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ،» (أفسس ١: ٣ - ٦).

ما هو قصد الله الأزلي الكائن حتى قبل تأسيس
العالم؟ قصده أن نكون أبناء وبناته، الأمر الذي لا يمكن
تحقيقه إلا بموت يسوع النياي على الصليب. عندما حمل
يسوع خطايانا وعانى من أجل رفضنا، فتح الطريق أمامنا
لنصير مقبولين، لقد فقد يسوع امتيازات البنوة الإلهية أثناء
تلك الفترة، لكي ترتفع نحن إلى منزلة أبناء الله وبناته.
ونعود ثانيةً إلى (أفسس ١: ٥ - ٦) حيث نقرأها من
الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة - على الصورة التالية:

«... إذ عيننا في المحبة سلفاً، ليتخذنا أبناء له بيسوع
المسيح. وذلك موافق للقصد الذي سُرَّت به مشيئته، بغرض
مدح مجد نعمته التي بها أعطانا حظوة لديه في المحبوب.»
(ترجمة كتاب الحياة)

والحظوة هي المكانة أو المنزل، أو هي القبول (Acceptance) كما ذكرنا سابقاً وكما تقترح إحدى الترجمات الإنجليزية. هذا هو علاج الشعور بالرفض: أن تدرك أن يسوع حمل رفضك لكي تنال قبوله؛ تأمل في مدى عمق هذا الإعلان، فنحن موضوع محبة الله واهتمامه وانتباهه، ونحن البند الأول في قائمة اهتماماته الكونية. إنه لا يضع أحدنا في الزاوية قائلاً: «انتظر، فأنا مشغول وليس عندي وقت لك الآن». أو يرسل ملاكاً يأمرنا بالهدوء لأن الله يريد أن ينام، لكن الله يقول: «أنا مهتم بك؛ أريدك؛ أرحب بك؛ تعال فأنا بانتظارك.»

وهذا يشبه موقف الآب في مثل الابن الضال (أنظر لوقا ١٥: ١١ - ٣٢)، الذي كان يقف بنفسه مراقباً رجوع ابنه، فلم ينتظر أحد خدامه ليعلن له ذلك، بل كان هو أول من عرف برجوعه، وهكذا هو موقف الله من جهتنا في المسيح، فلسنا مرفوضين بالنسبة له، ولسنا مواطنين من الدرجة الثانية، ولسنا مجرد خدام مستأجرين.

عندما رجع الابن الضال، لم يكن يطمع في أن يكون أكثر من مجرد أجير عند أبيه، فأراد أن يقول لأبيه: «...اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ.» (لوقا ١٥: ١٩).

ولكن عندما بدأ بالاعتراف لأبيه، قطع أبوه عليه بقية الكلام، فلم يسمح له بالقول:

«اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ»، بل - وعلى العكس من ذلك - أمر الأب خدامه قائلاً:

«أَخْرِجُوا الْحِلَّةَ الْأُولَى وَالْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءَ فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَادْجَبُوهُ فَنَأْكُلْ وَنَفْرَحَ، لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ.» (لوقا ١٥: ٢٢ - ٢٣).

لقد عم النشاط وتحرك الجميع في حفل استقبال الابن الضال، فكأنما هي السماء! ألم يقل يسوع أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة؟ انظر (لوقا ١٥: ٧). هكذا يستقبلنا الله في المسيح.

إذاً عليك أن تتمسك بهاتين الحقيقتين:

(١) حمل يسوع شعورك بالرفض على الصليب، وحمل كل ما يرافق ذلك من حزن وغم وكرب، حتى أنه مات بسبب انكسار قلبه.

(٢) نحن مقبولون بسبب رفضه، نحن مقبولون في المحبوب يسوع. إنها تلك المبادلة العظيمة: أخذ يسوع ما هو شرير، لكي ننال ما هو صالح.

وكل ما تحتاج إليه لا يتعدى أحياناً التمسك بهاتين الحقيقتين. حدث قبل سنوات، وفي أحد المؤتمرات الروحية، أنني كنت في طريقي إلى إحدى القاعات حيث طلب مني أن أعظ، فاصطدمت بتلك السيدة التي جاءت مسرعة من الاتجاه المقابل، والتي قالت - وهي تلتقط أنفاسها - آه، أخ برنس، كنت أصلي أن يجعلنا نتقابل إن كانت إرادته أن أتحدث معك.»

فقلت: «حسناً، وها نحن تقابلنا! فما المشكلة؟ ليس معي الآن سوى دقيقتين لأتحدث معك، فموعد عظمي قد حان.» فبدأت السيدة بالكلام، وقاطعتها بعد حوالي نصف دقيقة قائلاً: «انتظري، أنا أعرف مشكلتي، ولا داعي لمزيد من الشرح، فأنت تعانين من الشعور بالرفض، وعندي لك حل مناسب! أريد منك أن تردي عدي هذه الصلاة وبصوت مرتفع.»

لم أقل لها مسبقاً محتوى الصلاة، بل ارتجلت الكلمات، وهي تردد عدي العبارة تلو العبارة:

«شكراً يا رب لأنك تحبني، وقد قدمت ابنك يسوع ليموت من أجلي؛ ليحمل خطاياي؛ ليأخذ عني مشاعر الرفض، شكراً لأنه دفع الأجرة عني، وتحمل عقابي، والآن أنا لست مرفوضة فيما بعد، لأنني آتية إليك من خلال يسوع؛ أنا لست مطروحة أو متروكة، لكنك تحبني حقاً، وأنا ابنتك بالفعل، وأنت بالحقيقة أبي. أنا أتمي إلى أفضل

عائلة في الكون، والسماء هي بيتي الحقيقي. آه يا رب شكراً لك، شكراً.» انتهينا من الصلاة، فقلت: «آمين، وداعاً ينبغي أن أذهب الآن.»

بعد حوالي شهر، وصلتني رسالة من تلك السيدة، وبعد أن وصفت لقاءنا في رسالتها، أضافت تقول: «أريد أن أخبرك بأن تلك اللحظات التي تحدثت معي فيها، وتلك الصلاة التي صليت، قد غيرت حياتي تماماً. لقد أصبحت شخصية مختلفة تماماً منذ ذلك الحين.»

وبينما كنت أقرأ رسالتها، فهمت ما حدث معها في لقاء الدقيقتين ذاك: لقد انتقلت من الرفض إلى القبول.

عائلة الله هي العائلة الأفضل، فلا مثيل لها. وحتى إن لم تمنحك عائلتك الاهتمام الكافي، ورفضك أبوك، ولم تتفرغ لك أمك أبداً، ولم يُظهر زوجك أية محبة، فاعلم واعلمي بأن الله يريدك ويقبلك ويخصص لك حظوة

رفيعة ومنزلة خاصة. أنت موضوع رعايته المباشرة ومحبه الخاصة. وكل ما يعمل في الكون، إنما يدور حولك أنت.

يقول بولس لأهل كورنثوس: «لأنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ أَجْلِكَ...» (٢ كورنثوس ٤: ١٥)، مع أنهم لم يكونوا أفضل المؤمنين. نعم، كل ما يعمل الله، إنما يعمل من أجلك. ولا مجال للغرور في إدراكك لهذه الحقيقة، بل ينبغي أن يقودك هذا إلى التواضع، إذ لا مكان للغرور عندما نرى نعمة الله.

ومن الجدير بالذكر هنا أن كلمات يسوع الأخيرة قبل الصليب، كانت تتعلق بعلاقتنا بالله باعتباره أبونا:

«أَيُّهَا الْآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهَؤُلَاءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَفْتُهُمْ اسْمَكَ...» (يوحنا ١٧: ٢٥ - ٢٦).

كيف عرفنا يسوع بالله؟ لقد عرفنا به باعتباره أب.

عرف اليهود الله باعتباره «يهوه» عبر أربعة عشر قرناً، لكن ابن الله يسوع هو الوحيد الذي استطاع أن يقدم لنا الله كأب بصورة واضحة. ست مرات في صلاته الأخيرة من أجل تلاميذه، يخاطب يسوع الله كأب. ويقول أيضاً: «... وَسَأَعْرِفُهُمْ، [أي سأستمر في أن أُعَرِّفُهُمْ]...» (يوحنا ١٧: ٢٦)

يقول يسوع بأنه سيواصل إظهار الله كأب، ثم نأتي إلى هدف هذا الإعلان:

«... لِيَكُونَ فِيهِمْ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ». (يوحنا ١٧: ٢٦)

وأفهم من هذا بأن الله يحبنا تماماً كما يحب يسوع نفسه، وذلك لأن يسوع فينا. لكن هناك جانب آخر في هذه المعادلة، فلأن يسوع فينا، نستطيع نحن أن نحب الله كما يحبه يسوع تماماً. وهذا يمثل قمة هدف خدمة يسوع على الأرض، وهو أن يأتي بنا إلى الاشتراك في علاقة المحبة التي

تربط الآب بالابن. ولهذا الإعلان - كما ذكرنا - جانبان: أولاً: يحبنا الله الآب كما يحب يسوع؛ ثانياً: نستطيع أن نحب الآب عاكسين ذات المحبة التي في قلب يسوع نحو الآب.

يقول يوحنا: «لَا خَوْفٌ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ...» (١ يوحنا ٤: ١٨)، وبينما ننمي علاقة المحبة بالله، لا يكون فيما بعد موضع للشعور بالذنب أو عدم الأمان أو الرفض. ربما تحمل ذكريات تعيسة عن علاقتك بأبيك الأرضي، فمع أن الله يريد لكل أب أن يعبر عن قلب الله الأبوي، إلا أن الكثيرين من الآباء يفشلون في ذلك. لكن مازال هناك أب سماوي يحبك، ويفهمك، ويفكر بك حسناً، ويخطط لك الأفضل. لن يتركك أبوك السماوي أبداً، أو يسيء فهمك، أو يتحالف مع آخرين ضدك.

هذا الإعلان البسيط لأبوة الله والقبول في المسيح، يمكن أن يحل مشكلة الرفض عند بعض الناس، بينما لا

يتحقق هذا الغرض عند بعضهم الآخر. فإذا شعرت بأن مشكلتك لم تحل بعد، ربما تكون محتاجاً إلى مزيد من المساعدة. تابع القراءة في الفصل التالي، بينما أشرح بعض الخطوات العملية التي يمكنك اتخاذها من أجل تفعيل عطايا الله في حياتك.

الفصل السادس

كيفية استخدام العلاج

حتى هذه المرحلة، تكون قد سمحت للروح القدس بأن يُدخل مجسه في جرحك، وقد كشف لك عن الجسم الغريب الذي يسبب لك الالتهاب والألم. فهل أنت مستعد الآن لقبول العلاج الإلهي؟ إن كنت مستعداً، هناك خمس خطوات ينبغي إتباعها:

الخطوة الأولى: تعرف على طبيعة مشكلتك، وسمها باسمها الصحيح: الشعور بالرفض. يأتي بنا الله دائماً إلى لحظة صدق قبل أن نتمكن من قبول مساعدته.

الخطوة الثانية: ليكن يسوع مثالك «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لِأَجْلِنَا، تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِهِ.» (ابطرس ٢: ٢١). كيف واجه يسوع الرفض؟ لقد كرس

ثلاث سنوات ونصف من حياته للآخرين، لغفران الخطايا، وشفاء المرضى، وتحرير المقيدون بأرواح شريرة. وفي نهاية تلك الفترة، خيّر الحاكم الروماني اليهود الذين ينتمي إليهم يسوع بين إطلاق سراح يسوع الناصري أو إطلاق «باراباس» المجرم، والمذنب بالسرقة والقتل والفتنة (أي العصيان السياسي المسلح). فما كان منهم إلا أن رفضوا يسوع، واختاروا «باراباس»، فكان ذلك القرار هو الأكثر إثارة للدهشة والأعظم مأساوية وقسوة في تاريخ الجنس البشري كله؛ إذ صرخ الجميع: «لا نريد يسوع! اصلبه! وأطلق لنا "باراباس"». كيف تجاوب يسوع مع ذلك؟ صلى يسوع من أجل صالبيه قائلاً:

«يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لَا تَهْمُ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»
(لوقا ٢٣: ٣٤).

فالخطوة الثانية هي الغفران، وهو ليس أمراً سهلاً، بل إنك لا تستطيع تنفيذه بمفردك. لكن، وبينما تصل

إلى هذه الخطوة، تجدد الروح القدس حاضراً معك، فإذا خضعت للروح، يمنحك النعمة الفائقة التي تحتاج إليها.

قد تقول: لكن الشخص الذي أساء لي قد مات، فلماذا أحتاج إلى أن أغفر له؟ وأقول لك: لا فرق إن كان حياً أو ميتاً، فأنت تغفر له من أجلك أنت أولاً، لا من أجله هو.

أعرف شاباً مؤمناً سمع هذه الرسالة، فأدرك أنه كان يحمل مرارة وكرهية وغضباً وتمرداً ضد أبيه ولعدة سنوات. وإذا كان أبوه قد مات، أخذ الشاب زوجته في رحلة طويلة قاصداً المقبرة التي دُفن بها أبوه، وكانت على بُعد عدة مئات من الكيلومترات. وهناك، ترك الشاب زوجته في السيارة، وذهب وحده إلى حيث قضى ساعتين فرَّغ فيهما كل مواقفه المسمومة، ولم يترك المكان إلا وهو متيقن بأنه غفر لأبيه. عندما خرج الشاب من المقبرة، كان إنساناً مختلفاً. وتشهد زوجته اليوم بأنها تعيش مع زوج جديد. نعم، لقد كان الأب متوفى، لكن الغيظ والحقد كانا مفعمين بالحياة.

وهناك أمر هام جداً في علاقة الأولاد بالديهم، وينبغي أن يتذكر الشباب والشابات ذلك بشكل خاص، وهو أن أول وصية اقترنت بوعد هي: «أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ... لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ...» (أفسس ٦: ٢ - ٣). فإن لم تكرمهما، تأكد بأنه لن يكون لك خير. ربما تقول: «كانت أي زانية، وأبي مدمن على الكحول؛ كيف تتوقع مني أن أكرمهما؟!» نعم، لا تكرمهما بصفتها زانية ومدمن، بل لأنهما أمك وأبوك. هذه هي وصية الله، وهذا هو مطلبه.

في بداية اختباري للولادة الجديدة والمعمودية بالروح القدس، ظننت بأن معرفتي صارت تزيد كثيراً عن معرفة والدي. وكان «مارك توين»^(٢) قد أبدى ملاحظة ساخرة حول هذا الموضوع، وذلك أنه سافر لعدة سنوات، ثم عاد فاندesh من كثرة ما تعلمه والده خلال تلك الفترة! وأنا كنت كذلك أيضاً. ويوماً ما، لفت الرب نظري إلى هذا

(٢) «مارك توين» أديب أمريكي (١٨٣٥ - ١٩١٠)

المبدأ: «إذا أردت أن يكون لك خيرٌ ينبغي أن تتعلم كيف تكرم أباك وأهلك.»

والآن، وقد رحل أبي وأمي عن هذا العالم، فأنا أشكر الله لأنني كنت قد تعلمت حقاً كيف أظهر لهما الاحترام والإكرام. وأعتقد أن ذلك واحداً من الأسباب التي جعلت الأمور تسير معي بشكل جيد. لقد رأيت هذا المبدأ بجانبه الإيجابي والسلبي: رأيت أناساً يكرمون والديهم وينعمون بالبركة، ورأيت أناساً يرفضون إكرام والديهم فلا يكون لهم خير، ولا ينعمون من الله ببركته أبداً.

والواقع أن عدم الغفران هو من أكثر موانع بركة الله شيوعاً، وهذا ينطبق على العلاقة بين الزوجين أيضاً. أذكر حديثاً دار بيني وبين سيدة جاءت إليّ من أجل الصلاة والتحرير. قلت لها: «ينبغي أن تسامحي زوجك»، فقالت: «بعد أن دمر خمسة عشر عاماً من حياتي، ثم ذهب مع امرأة أخرى؟!». فقلت: «حسناً هل ترغبين بأن يدمر ما

تبقى من حياتك؟ إن كان كذلك، إستمر بالحقده عليه،
وهذا كفيل بتدميرك.»

تذكر، الشخص الذي يغتاظ ويحقده هو الذي يعاني
أكثر، لا الشخص الذي يُحقده عليه. كما قال أحدهم عن
رجل مصاب بالقرحة: «ليس المهم ما يأكله هذا الرجل،
بل ما يأكل في الرجل هو المهم.» وتستطيع أنت أن تغفر
عندما يمكنك الروح القدس؛ تستطيع أن تغفر - إن أردت.
الغفران ليس عاطفة، لكنه قرار. لا تقل: «لا أستطيع»،
فالحقيقة أنك تقول: «لا أريد».

وما دمت تقدر أن تقول: «لا أريد»، فأنت تقدر أن
تقول: «أريد».

الخطوة الثالثة: اتخذ قراراً ذهنياً واعياً بالتخلص من
ثمر الرفض في حياتك، كالمرارة والغيط والاستياء والكراهية
والتمرد. تذكر ذلك الشاب الجالس عند قبر أبيه، فهذه

الثمار كلها سموم، إذا راعيتها في قلبك وغذيتها، سممت حياتك كلها، وسببت لك مشاكل نفسية عميقة، بل وربما مشاكل جسدية أيضاً. اتخذ هذا القرار بإرادتك قائلاً: «أنا أرفض المرارة والغضب والكراهية والتمرد.»

الخطوة الرابعة: ولست مطالباً بتنفيذ هذه الخطوة بنفسك؛ لقد أعدها الله لك مسبقاً، «إذ عيننا في المحبة سلفاً، ليتخذنا أبناء له بيسوع المسيح. وذلك موافق للقصد الذي سُرَّت به مشيئته، بغرض مدح مجد نعمته التي بها أعطانا حُظوة لديه [أي منزلة وقبول] في المحبوب» (أفسس ١: ٥-٦ الترجمة التفسيرية - كتاب الحياة).

يقول المختصون للمدمنين على الكحول والخاضعين للعلاج: «الغضب والحقد أمور كمالية، لا تستطيعون دفع ثمنها الغالي.» وهذا صحيح لنا جميعاً، فمن منّا يتحمل دفع ثمن الغضب والحقد وهما مكلفان جداً؟!!

عندما تأتي إلى الله من خلال يسوع، تكتشف على الفور أنك مقبول. وليس عند الله أولاد من الدرجة الثانية؛ إنه لا يهتم بك أو يرضى بك فقط، لكنه يحبك، ويهتم بك شخصياً وبمخاطباتك. أنظر ثانية إلى كلمات (أفسس ١: ٤-٦):

«كما كان [الله] قد اختارنا فيه [في يسوع] قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين بلا لوم أمامه. إذ عيننا في المحبة سلفاً، ليتخذنا أبناء له بيسوع المسيح. وذلك موافق للقصد الذي سُرَّت به مشيئته، بغرض مدح مجد نعمته التي بها أعطانا حظوة لديه في المحبوب» (الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة).

كان قصد الله منذ الأزل أن يجعلنا أبناء له، وقد حقق ذلك من خلال موت المسيح على الصليب من أجلنا. وما عليك إلا أن تؤمن (تصدق) بأن الله يريد أن يجعلك ابنه. وعندما تأتي إليه من خلال يسوع، تجد أنه قبلك بالفعل.

الخطوة الخامسة: اقبل نفسك. وتكون هذه الخطوة هي

الأصعب أحياناً. وقد اعتدت أن أقول للمؤمنين: «لا تقلل من شأن نفسك أبداً، لا تنتقد نفسك، أنت لم تصنع نفسك، لكن الله صنعك.» يخبرنا بولس في (أفسس ٢: ١٠) بأننا نحن «عمل» الله. والأصل اليوناني للكلمة «عمل» هنا هي «poema» والتي أخذت منها الكلمة الإنجليزية «poem – قصيدة شعرية». وتشير الكلمة اليونانية إلى معنى العمل الفني الخلاق، فنحن التحف الفنية «masterpieces» التي صنعها الله (أنظر الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة). فمن بين كل خلائقه، خصنا الله بأدق عناية وبأفضل اهتمام، وميّزنا بعد أن كنا منبوذين ومتروكين.

ربما تتداعى في ذاكرتك الآن أحداث مؤلمة، بدايات خاطئة، كانت السبب في زواج فاشل وأولاد منحرفين وأزمات مالية مدمرة. ربما تسمي نفسك «فاشل»، لكن الله يسميك «ابني وابنتي». تستطيع أن تقبل نفسك، لأن الله قبلك. وعندما تأتي إلى الله في «يسوع»، تصبح خليفة جديدة.

«... إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الْأَشْيَاءُ

الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً. وَلَكِنَّ
الْكُلَّ مِنَ اللَّهِ...» (٢كورنثوس ٥: ١٧ - ١٨).

ليس لك أن تُقيِّم نفسك بناءً على حياتك السابقة
قبل المسيح، لأنك أصبحت الآن خليفة جديدة.

والآن، عزيزي القارئ، هل سلكت في هذه الخطوات
الخمسة؟ إن كنت قد فعلت فقد جاء الآن الوقت لكي تعلن
تحريرك، مصلياً صلاة تكون هي الختم على كل ما تعلّمت
بخصوص قبول الله لك. يمكنك أن تصلي بكلماتك
الخاصة وببساطة، فإن كنت في حيرة مما تقول، اقرأ
الصلاة المقترحة التالية وصلّ صلاتك الخاصة على نمطها:

«أيها الرب يسوع المسيح، أنا أؤمن بأنك ابن الله،
وأنتك الطريق الوحيد إلى الله. لقد مت على الصليب من
أجل خطايائي، وقمت من بين الأموات. يارب، أنا أتوب
عن كل خطايائي، وأغفر لكل من أساء إليّ كما يغفر لي

اللّٰه. أنا أسامح كل الذين رفضوني وجرحوني ومنعوا عني محبتهم، وأنا أوّمن يا رب بأنك تسامحني وتغفر لي.

يا رب، أنا أوّمن بأنك تقبلني الآن. أنت قبلتني لأجل ما عملته على الصليب من أجلي. أنا مقبول ولي منزلة رفيعة عندك، أنا موضوع اهتمامك الخاص، وأنت تحبني فعلاً. أنت تريدني، والآب السماوي هو أبي، والسماء بيتي، وأنا أحد أفراد عائلة اللّٰه، أفضل عائلة في الكون. نعم يا رب، أنا مقبول، شكراً يا رب شكراً.

كما أنني يا رب أقبل نفسي كما خلقتني تماماً، فأنا قصيدتك الشعرية وتحفتك الفنية، شكراً لأجل كل ما عملته. أنا أوّمن بأنك بدأت معي عملاً صالحاً، وستكمل عملك إلى التمام. والآن، أنا أعلن تحريري الكامل من أي روح شرير استغل جروح حياتي؛ أنا أطلق روحي لتفرح بك. باسمك أصلي. آمين.

إنها لحظة التحرير من أي روح شرير كان يتسلّى

بتعذيبك، فإذا شعرت بقوة ما تحاول أن تحارب الصلاة التي صليتها الآن، أعلم أنه روح شرير. وربما تأتي إلى ذهنك مجموعة كلمات مثل:، رفض، حقد، غيظ، شفقة على الذات، كراهية، موت، أو كلمة أخرى مشابهة؛ إنه الروح القدس يكشف لك عن شخصية عدوك وعن اسمه، فأعلن رفضك له بصوتٍ مسموع وتخلص منه؛ فمهما كانت الطريقة التي يحاول العدو أن يُظهر نفسه من خلالها، عليك أن تطرده. اطرده مع زفير رثتيك، أو بأناات تعلن فيها رفضك أو حتى بالانتهاز والصراخ، المهم أن تطرده خارجاً!

إنها اللحظة التي طالما تقت إليها، فلا تهتم الآن بمركزك أو كرامتك! اقبل كل ما يقدمه لك روح اللّٰه، وبينما تبدأ عملية التحرير، ابدأ أنت بالتسبيح بصوت مرتفع: «شكراً لك يا رب، أسبحك، أحبك، شكراً من أجل الحرية، شكراً من أجل كل شيء.» فالشكر يُثَبِّت الختم على تحريرك، وها أنت مستعد الآن لحياة الحرية الجديدة التي أخذت.

الفصل السابع

القبول وسط شعب الله

خطوة مهمة أخرى في طريق تحقيق القبول، وهي القبول وسط شعب الله، وهذا يعني اكتشاف المكان المناسب لكل واحد منا في جسد المسيح، فنحن - كمؤمنين - لسنا أفراداً معزولين، لقد أدخلنا في علاقة بإخوتنا المؤمنين، وهذه العلاقة هي إحدى الوسائل التي نتمتع من خلالها بتحقيق القبول في حياتنا اليومية، فهناك أولاً القبول من أبينا السماوي، وهي الخطوة الأهم، لكن ينبغي للقبول أن يُمارس عملياً في علاقتنا بإخوتنا المؤمنين أيضاً، فالمسيحية - في مجملها - لا تكون إلا من جسد واحد، وكل مؤمن هو عضو في هذا الجسد. يقول بولس: «فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هَكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ

وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءُ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلْآخَرِ.»
(رومية ١٢: ٤ - ٥).

فبما أننا أعضاء جسد واحد، وكل عضو ينتمي للآخر،
فلا نستطيع أن نجد الشبع الكامل والسلام والقبول بمعزل
عن الأعضاء الآخرين.

«فَإِنَّ الْجَسَدَ أَيْضًا لَيْسَ عُضْوًا وَاحِدًا بَلْ أَعْضَاءُ
كَثِيرَةٌ. إِنْ قَالَتِ الرَّجُلُ: «لَأَنِّي لَسْتُ يَدًا لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ».
أَفَلَمْ تَكُنْ لِدَلِكِ مِنَ الْجَسَدِ؟ وَإِنْ قَالَتِ الْأُذُنُ: «لَأَنِّي لَسْتُ
عَيْنًا لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ». أَفَلَمْ تَكُنْ لِدَلِكِ مِنَ الْجَسَدِ؟»
(١ كورنثوس ١٢: ١٤ - ١٦).

أنت جزء من الجسد، ربما تكون قدماً أو يداً،
عيناً أو أذنًا، لكنك لا تكتمل بعيداً عن باقي الجسد، ولا
يكتمل باقي الجسد من دونك، ومن هنا تأتي أهمية أن
تجد مكانك في الجسد.

«لَا تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: «لَا حَاجَةَ لِي إِلَيْكَ».
أَوِ الرَّأْسُ أَيْضاً لِلرَّجْلَيْنِ: «لَا حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا». بَلْ
بِالْأَوَّلَى أَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي تَظْهَرُ أَوْضَعَفَ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ.
وَأَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي نَحْسِبُ أَنَّهَا بِلَا كَرَامَةٍ نُعْطِيهَا
كَرَامَةً أَفْضَلَ. وَالْأَعْضَاءُ الْقَبِيحَةُ فِينَا لَهَا جَمَالٌ أَفْضَلُ».
(١كورنثوس ١٢: ٢١ - ٢٣).

فلا يقدر أحداً أن يقول لأخيه: «أنا لا أحتاج إليك؛»
فكل منا يحتاج إلى الآخر. لقد خلق الله الجسد بطريقة
تتداخل فيها الاحتياجات، ويعتمد فيها كل عضو على
الآخر، فلا يعمل العضو بفاعلية بمفرده. وهذا ينطبق
على كل واحد منا، هذا ينطبق عليك أنت، فأنت تحتاج
إلى الأعضاء الأخرى، وهي تحتاج إليك، وأن تجد مكانك في
الجسد، يجعل من اختبار القبول في حياتك أمراً حقيقياً
وتجربة يومية.

ويقدم العهد الجديد صورة أخرى يصف فيها المؤمنين

بأنهم عائلة واحدة، حيث تبدأ الصلاة التي علّمها يسوع لتلاميذه بهذه الكلمة المهمة: «أبانا...» وهذا يشير إلى أمرين:

أولاً: لنا أب هو الله، وهذا يعبر عن القبول رأسياً مع الله. وثانياً: أن الكلمة هي «أبانا» وليس «أبي»، فنحن أعضاء في عائلة، وهناك أبناء كثيرون ينتمون إليها. لذلك لا يكون اختبار القبول فعالاً على المستوى الأفقي، إلا عندما نجد مكاننا في العائلة، ونلتزم به. إذًا، هناك قبول رأسي من الله، وأفقي من عائلة الله.

« فَلَسْتُمْ إِذَا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلٍ بَيْتِ اللَّهِ » (أفسس ٢: ١٩). وفي الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة: «... أعضاء عائلة الله.»

فالبديل هو أن نكون غرباء ونزلاء. لكننا لا نحب هاتين الكلمتين (غرباء، نزلاء). لقد هاجرت إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٣، لكنني لم أصبح مواطناً قبل ١٩٧٠، ولمدة

سبع سنوات كنت غريباً ونزيراً في تلك البلاد، ومعظم الذين حصلوا على الجنسية بالولادة، لا يعرفون أبداً معنى أن تكون غريباً في بلد ما.

كان عليّ أن أملأ استمارة لدائرة العدل أول كلّ سنة، مبيناً مكان إقامتي. كان على السلطات أن تعرف أين تجدني، وربما أرادوا أن يتحققوا من شكوك تدور حولي، أو ربما رغبوا في ترحيلي! ثم لم يكن مسموحاً لي بالتصويت لا على مستوى الاتحاد ولا على مستوى الولاية. عندما كنت أسافر وأعود، كان عليّ أن أقف في صف خاص منفصل عن مواطني الولايات المتحدة، حيث يدقق في جواز سفري، ويطلب مني إبراز بطاقة خضراء تدل على أنني كنت مقيماً في أمريكا كغريب.

فهناك إذاً فروق وهناك تمييز، فأنت لا تنتمي إلى البلد حقاً ما دمت نزيراً بها فقط. لكن الله يقول: «لست غريباً فيما بعد أو نزير، لكنك تنتمي إلى العائلة وأنت

جزء منها.» لكن هذا لا يكون صحيحاً بالنسبة إليك،
إلا عندما تجد مكانك في العائلة. يقول صاحب المزمور:

«اللَّهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ...» (مزمور ٦٨: ٦).

هل تشعر بالوحدة؟ هناك الملايين من الوحيدة (أي)
الذين يعانون من الوحدة) في العالم، من دون أن يدركوا
بأن الله قد أعد بيتاً لأمثالهم. فالرب هو:

«مُخْرِجُ الْأَسْرَى إِلَى فَلَاحٍ. إِنَّمَا الْمُتَمَرِّدُونَ يَسْكُنُونَ
الرَّمْضَاءَ.» (مزمور ٦٨: ٦). هدف الله هو أن يضمك إلى
عائلةٍ وبيتٍ، محطماً بذلك قيودٍ وغامراً إياك بالسعادة
والفلاح. أما الذين يرفضون قيادة الله، فيسكنون في
صحراء حارة قاحلة.

قد يتساءل أحدهم: «كيف أصبح عضواً في عائلة
الله؟ هناك جماعات مختلفة يمكنك الانضمام إليها، أكان
اسم تلك الجماعة كنيسة أو شركة روحية أو إرسالية أو

غيرها، فالاسم ليس هو المهم. وأعترف أن الأمر لا يكون بهذه السهولة دائماً، فليس سهلاً أن تجد تلك الجماعة التي تجعلك مقبولاً بالفعل. في كتابي «عهد الزواج» أعددت قائمة من تسعة أسئلة، ينبغي أن يسألها كل من يبحث عن الجماعة المناسبة لكي ينضم إليها. أما الأسئلة فهي:

- (١) هل يكرمون الرب يسوع ويعظمونه؟
- (٢) هل يحترمون سلطان كلمة الله المكتوبة؟
- (٣) هل يعطون المجال والحرية لتحركات الروح القدس؟
- (٤) هل يُظهرون المودة والترحيب الحار؟
- (٥) هل يسعون لممارسة إيمانهم في الحياة اليومية؟
- (٦) هل بينهم روابط شخصية فعالة، تتعدى مجرد حضور الاجتماعات؟
- (٧) هل يوفرون اهتماماً رعوياً يشمل كل احتياجاتك المشروعة؟

(٨) هل هم منفتحون على الشركة مع الجماعات المؤمنة الأخرى؟

(٩) هل تشعر بينهم بالراحة والاطمئنان كما يليق بعائلة؟

فإن كانت الإجابة عن جميع الأسئلة، أو عن معظمها، هي «نعم»، فأنت قريب جداً من تحقيق هدفك. استمر في طلب الإرشاد الإلهي، إلى أن تنال توجيهاً محدداً من الله. وتذكر بأنك لن تجد الجماعة المثالية الكاملة على الأغلب.

ها أنت قد عرفت الطريق لكي تهرب من وحدتك ومن شعورك بأنك منبوذ تُراقب من بعيد. فكن جزءاً من نظام الجسد الحي، جد مكانك ووظيفتك وستختبر آنذاك الشبع والاكتفاء.

في نهاية كتابي «عهد الزواج» اقترحت صلاة يصلّيها كل من يتوق لاكتشاف مكانه وسط شعب الله، وها أنا أختتم هذا الفصل بتلك الصلاة. فإن كانت تعبر عن

مشاعرك، اقرأها مصلياً ثم قل «آمين»، وهكذا تكون هذه الصلاة هي صلاتك أنت.

يا رب، لقد عشت وحيداً غير قانع بحياتي وأنا أقر بذلك. أنا أتوق لأن أسكن في بيتك، وأكون أحد أفراد عائلة روحية من المؤمنين الملتزمين. إن كانت هناك حواجز في داخلي، فأنا أطلب منك أن تزيلها. أرشدني إلى الجماعة المناسبة، حيث أجد شعباً لرغبتى هذه، وساعدني لكي ألتزم نحوهم كما ينبغي. باسم يسوع. آمين.

إذا قلت «آمين» على هذه الصلاة بإخلاص، أعدك بأن شيئاً ما سيحدث في حياتك. سيتحرك الله، وسيعطيك اتجاهاً جديداً وروابط جديدة، ويفتح لك أبواباً جديدة أيضاً. سيخرجك من أرض الجفاف والظمأ، لتكون عضواً وجزءاً من الجسد.

الفصل الثامن

المحبة الإلهية

فلنبداً بمراجعة سريعة: يعاني الكثيرون من جروح الرفض والخيانة والخجل، وقد يكون لذلك أسباب محددة كالرفض من الوالدين أو الطلاق أو الإهانة العلنية وغيرها.

لقد وفر لنا الرب يسوع العلاج المناسب، وذلك من خلال عدة مقايضات تمت على الصليب: رُفض يسوع من الله ومن الإنسان، لكي نصير نحن مقبولين عند الله وفي عائلة الله؛ عانى يسوع من العار والخزي، لكي نشاركه نحن في مجده، مات يسوع موتناً، لكي نتمتع نحن بحياته.

إن معرفة ما عمله المسيح والإقرار به، يُعد كافياً لبعض الناس حتى يختبروا الشفاء والتحرير، بينما يحتاج آخرون إلى خطوات أخرى مثل:

- ١) اسمح للروح القدس بأن يعينك على اكتشاف مصدر الشعور بالرفض وطبيعته في حياتك.
- ٢) اغفر للشخص (أو الأشخاص) الذي كان سبباً في إيذائك.
- ٣) تخلّ عن الثمار المدمرة التي ينتجها الرفض، كالمراة والغیظ والاستياء والحقد والكراهية والتمرد.
- ٤) اقبل حقيقة أن الله قبلك في المسيح.
- ٥) اقبل نفسك.

النتيجة الأساسية للشعور بالرفض هي عدم القدرة على ممارسة المحبة أخذاً أو عطاءً. لذلك، يعتبر الشعور بالرفض من أعظم العوائق أمام المحبة الإلهية. فالله يعمل في حياتنا لكي يقودنا إلى معرفة محبته الإلهية. ولا أشير هنا إلى المحبة التي يظهرها الله من نحن، بل إلى الطريقة التي تنسكب بها محبة الله في داخلنا أولاً، ثم تفيض على العالم بأسره من خلالنا. وتتضمن هذه الطريقة مرحلتين متتاليتين:

أولاً: محبة الله المنسكبة (outpoured)، ثم محبة الله العاملة (out worked). أما المرحلة الأولى فهي اختبار هائل فائق للطبيعة؛ أما الثانية فهي عملية التشكيل التدريجي الذي يقوم به الله ليصل بشخصياتنا إلى الصورة التي يريدها.

ومما يثري الذهن - في هذا المجال - أن نبين التضاد بين هذا النوع من المحبة وبين الحب البشري المجرد. كنت معجباً جداً في شبابي بكتابات «وليم شكسبير»^(٣) وقد كان هاجس «شكسبير» هو هاتين التجربتين البشريتين: الحب والموت. وكان يأمل أن يوفر الحب مهرباً من الموت بشكل ما.

وتظهر، في بعض قصائده، تلك الشخصية التي عُرفت فيما بعد بـ «السيدة السمراء - The Dark Lady». ويبدو أن شكسبير كان يَكُنُّ لها عاطفة وحباً شديدين، إلا أنها لم تبادله المشاعر نفسها. وفي إحدى مقطوعاته الشعرية

(٣) «وليم شكسبير»: شاعر مسرحي إنجليزي (١٥٦٤ - ١٦١٦)

(السونيتات)، يحاول أن يقنعها بأن شعره سيخلدها، حتى وإن كان ينتظرها الهرم والموت، فيقول (مترجمة بتصرف):

أيومٍ من أيام الصيف أُشْبِهْكَ؟

أكثر لطفاً أنت وأجمل

فالريحُ القاسيةُ تهزُّ براعم أيار الأخاذة

والصيفُ يدومُ قليلاً

لا يلبثُ أن يرحلُ

يشد هجيرٌ ترسله عينُ الفلكِ الوهاجة حيناً

أو قد يجبو وجهُ الشمسِ الذهبي

وملاحةُ الفتانة تأفلُ

وكذا يفترقُ الحسنُ عن الحسنِ ويسلاه

أو قل تمسّحه الصدفةُ،

أو طبعُ الأيامِ المتقلّبِ ينساه

أمّا الصيفُ الأبدِيُّ لديك فلا يذبلُ

لا يفقدُ فتنته كسواه

لن يتباهى الموتُ بطيّ عجائبك الزهرية في ظله

بل يحيا سحرُك ما امتدَّ التاريخُ ويكبرُ
 ما دامَ هنالك من يتنفسُ فوق الأرض ويشعرُ
 ما دامت عينٌ تنظرُ
 تحيا هذي الكلماتُ على الأيام
 وتمنحُك الكلماتُ الخالدةُ حياةً (السونيتة^(٤) ١٨).

كان هذا أفضل ما يستطيع حبه أن يقدم لها خلود
 شعره. وربما عاشت هذه القصيدة قُرابة الأربعمئة عام،
 إلا أن حبيبته ماتت. كان شكسبير يعقد آمالاً عظيمة على
 الحب، ويبدو أن آماله خابت. وأستطيع أن أقول بأنني أفهم
 ما جاز به من خيبة، فلي تجربتي الشخصية الماثلة.

كنت أبحث - ولمدة خمسة وعشرين عاماً - عن ما
 هو دائم ومُشبع في الشعر أو الفلسفة أو في العالم بمباهجه
 وتحدياته الفكرية، فكنت كلما نظرت إلى تلك الأشياء

(٤) (السونيتة) : قصيدة من اثني عشر بيتاً. وعدد سونيتات شكسبير ١٥٤، كُتبت ما بين ١٥٩٣-١٦٠٠م. ويُعتقد أن القصيدة أعلاه قد وجهت أصلاً إلى أحد أصدقائه المقربين، أما السيدة السمراء فكانت موضوع قسم آخر من قصائده.

أكثر، كلما ازداد جوعي. لم أكن أعرف عما أبحث، وعندما أعلن الله نفسه لي وعمّدي بالروح القدس، عرفت فوراً أن ذلك ما كنت أسعى إليه طوال الوقت. لقد ترددت على الكنيسة عشرين عاماً، ولم يخبرني أحد عن ذلك!

والآن، دعونا نتأمل ما يحدث عندما نحب الناس على طريقة الله لا على طريقة شكسبير. نقرأ هذه العبارة المذهلة في (رومية ٥:٥): «وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي، لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ اِنْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا.»

فالرجاء لا يخزينا، أي لا يخذلنا، وكذلك محبة الله، ذلك عندما يكون الرجاء والمحبة مثبتين في الله، لأن محبة الله بأكملها قد انسكبت في قلوبنا، فلم يمنع الله عنا شيئاً منها، بل أمسك وعاء محبته وسكب كل ما فيه علينا عندما عمدنا في الروح القدس.

في الحرب العالمية الثانية كنت ممرضاً تابعاً للجيش

البريطاني، وكان على أن أنتقل مع الفريق الطبي من مكان إلى آخر ولمدة أربع سنوات ونصف، كان معظمها في شمال أفريقيا ثم في فلسطين، بالإضافة إلى سنة في السودان. كانت المنطقة التي عملت بها في السودان منطقة جافة، بل صحراء قاحلة. لم يكن ذلك جذاباً بالنسبة لي، ولم أجد في أهل السودان أو في طبيعة حياتهم إلا ما هو غريب عليّ^(٥). لكنني كنت قد تعمدت بالروح القدس، وكان الله قد أراني أنه أعدّ خطة لحياتي، وهكذا بدأ الله يملأ قلبي بمحبة فائقة لأهل السودان. بعد ذلك، نقلني الجيش إلى «عطبرة» في شمال السودان، ملتقى السكك الحديدية. كنت مسئولاً عن مركز استقبال صغير للمرضى العسكريين. أتذكر أن المركز كان يحتوي على ثلاثة أسرّة، وكنت أعمل تحت إشراف طبيب مدني، فمن الناحية العسكرية كنت مسئولاً عن نفسي لأول مرة في تاريخ خدمتي العسكرية.

(٥) هذا لأن المؤلف نشأ في بيئة مختلفة تماماً، فمن الطبيعي أن يستغرب طبيعة بيئة أخرى لم يألفها.

ولأول مرة أيضاً، كان لي سرير خاص أنام فيه، وكان في المركز - فوق هذا - مجموعة من ثياب النوم الناعمة الطويلة. وكنت قبل ذلك قد أمضيت ثلاث سنوات وأنا أنام بملابسي الداخلية، حتى سئمت من ذلك. وهكذا دللت نفسي بالإمكانات المتوفرة، فكنت ألبس أحد ثياب النوم البيضاء الطويلة، وأنام على سرير.

في إحدى الليالي كنت مستلقياً على سريري، فحل الروح القدس عليّ بينما كنت مستغرقاً في صلاة شفاعية من أجل شعب السودان. لم تكن لصلاتي تلك علاقة بمشاعري الطبيعية، إلا أنني لم أتمكن من النوم. لقد كنت مسوقاً بقوة داخلية، ووجدت نفسي أصلي بمحبة فوق طبيعية، تسمو جداً على كل ما أستطيع تحقيقه بمنطقي الطبيعي وعاطفتي الشخصية.

في حوالي منتصف الليل، قمت من السرير وأخذت أسير في الغرفة. وفجأة انتبهت إلى أن ثوب نومي الأبيض

كان يشع نوراً بالفعل! لقد أدركت بأنني - في تلك اللحظات
الوجيزة - كنت ملتصقاً ومتوحداً مع الشفيع السماوي
العظيم، الرب يسوع المسيح!

فيما بعد نقلني الجيش إلى مستشفى صغير في منطقة
ناثية على إحدى الهضاب المحيطة بالبحر الأحمر، وكانت
تعيش هناك قبيلة تتميز بعبادات وتقاليد وبيئة وثقافة
غريبة كل الغرابة عن ما اعتدنا عليه أنا وزملائي، حتى
أن بعضهم شعر بالاستياء. أما أنا فقد أمضيت هناك ثمانية
شهور، كانت من أجمل أيام حياتي وأسعدها، فلقد أعطاني
اللّٰه أن أعبر عن محبته من نحو أولئك الناس، ونتيجة لذلك
أعطاني اللّٰه امتياز أن أقطف أول الثمر في ذلك المكان، وعندما
رحلت شعرت بألم شديد لفراق أولئك الناس وذلك المكان.

لقد اختبرت - في تلك الفترة في السودان - مقياساً
صغيراً من المحبة الإلهية المنسكبة، والتي هي محبة اللّٰه
نفسه لشعب السودان. لكنني أدركت فيما بعد بأن هذه

المحبة لا تكتمل إلا بفيض محبة الله العاملة من خلال حياتي.

عندما قابلت زوجتي الأولى «ليديا» في فلسطين، ورأيت البنات اللواتي كنَّ تحت رعايتها، ملاً الرب قلبي ثانيةً بمحبة رائعة. في ذلك الوقت، لم نكن أنا و «ليديا» نفكر في الزواج مطلقاً، لكننا تزوجنا فيما بعد. لقد سكب الله في قلبي محبته الفائقة من جديد، لكن ذلك لم يكن كافياً لجعل مني ذلك الإنسان الذي ينبغي أن أكون، لقد كنت أنانياً، حاد الطبع، ضيق الخلق، وعديم الإحساس.

وقد أدركت فيما بعد بأن اختبار انسكاب محبة الله رائع حقاً، لكن تكوين شخصيتنا يتطلب أكثر من ذلك. فالله ينقلنا إلى ما هو أعمق من الانسكاب فوق الطبيعي، إلى تشكيل شخصية تعبر عن محبته باستمرار. إنها عملية طويلة تتطلب طول أناة الله وصبره لكي يقودنا خلالها. وتلعب كلمة الله دوراً رائعاً أساسياً في عملية تشكيل الشخصية:

«مَنْ قَالَ قَدْ عَرَفْتُهُ وَهُوَ لَا يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ. وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقًّا فِي هَذَا قَدْ تَكَمَّلْتُ مَحَبَّةُ اللَّهِ. بِهِذَا نَعْرِفُ أَنَّ فِيهِ». (يوحنا ٢: ٤ - ٥).

لاحظ أن هذه الكلمات تشير إلى كلمة الله مباشرة لا إلى الروح القدس، فالحديث لا يدور هنا عن اختبارٍ خارق للطبيعة، بل عن عملية تشكيل تدريجية ثابتة، تتم من خلال الطاعة المستمرة لكلمة الله. فإذا أطعنا الكلمة المكتوبة، تأتي محبة الله فينا إلى النضوج والاكتمال يوماً بعد يوم.

ما قرأناه في رسالة يوحنا الأولى يعتبر وجهين لعملية واحدة: أولهما أن برهان محبتنا لله هو طاعة كلمته، فمن غير المُجدي أن نقول بأننا نحبه إن كنا لا نطيع كلمته. أما الوجه الثاني فهو أن الله - أثناء طاعتنا لكلمته - يعمل على تفعيل وتكميل محبته في شخصياتنا.

وتمر عملية إنشاء وتشكيل شخصياتنا في سبع مراحل

متتالية، حسب ما كتبه الرسول بطرس أنظر (٢بطرس ١: ٥ - ٧).
فلنبداً بالأساس:

«ابذلوا جهدكم لتضيفوا الفضيلة إلى إيمانكم»
(الترجمة العربية الجديدة، المشتركة^(٦)).

الإيمان هو نقطة البداية في كل ما يعملهُ اللّهُ، ولا
توجد نقطة انطلاق أخرى غير الإيمان. لكن هناك
بضع خطوات أخرى في عملية تطوير الشخصية، فإلى
الإيمان الذي نقبله من اللّهُ نضيف الفضيلة.

«... والمعرفة إلى فضيلتكم، والعفاف إلى معرفتكم،
والصبر إلى عفافكم، والتقوى إلى صبركم، والإخاء إلى
تقواكم، والمحبة إلى إخوانكم» (الترجمة العربية المشتركة...).

(١) «... لتضيفوا الفضيلة إلى إيمانكم». والفضيلة هي
الترفع والانفصال عن كل ما دنيء، وهي صفة المؤمن الحقيقي.

(٦) اعتمدنا الترجمة العربية الجديدة (أو المشتركة) في هذا النص لأنها الأقرب إلى
توضيح فكرة المؤلف.

لا تسمح لنفسك بأن تنزلق في الوحل مهما كان السبب. إن كنت تعمل بواباً قبل الإيمان، فكن بعد إيمانك وخلصك بواباً أفضل، إن كنت معلمة فكوني معلمة أفضل، إن كنت موظفاً كن موظفاً أفضل، وإن كنت ممرضة فكوني ممرضة أفضل. أضف الفضيلة إلى الإيمان.

عملت مديراً لكلية تأهيل معلمين في كينيا لمدة خمس سنوات، وكان هدفي الأساسي هو ربح الكلية للمسيح. وعندما كانوا يعترفون بالمسيح ويتعمدون بالروح القدس، كان بعضهم يقول: «الآن ستتساهل معنا، وتحفف الأعباء علينا، فقد صرنا مسيحيين!» وكنت أقول لهم: «بل العكس تماماً، سأتوقع منكم الآن المزيد. إن كنتم تستطيعون أن تكونوا معلمين من دون المسيح أو المعمودية في الروح القدس، فأنتم تستطيعون أن تكونوا معلمين أفضل جداً مع المسيح وفي الروح القدس. لذلك، أنا أتوقع منكم الآن أكثر لا أقل.»

لقد أكرمني الله بسبب التزامي بالفضيلة؛ ففي السنة الثالثة تخرج سبعة وخمسون شاباً وشابة من الكلية، وجميعهم اجتازوا الامتحانات النهائية في كل المواد بنجاح. وقد جاء ممثل دائرة التعليم في الحكومة الكينية وهنأني شخصياً، وقال: «لا توجد في جميع سجلاتنا ما يوازي هذا الإنجاز!»

كان ذلك لأنني تمسكت بمطلب كلمة الله من نحو الفضيلة والتميز. لقد أثرت نتائج امتحاناتنا في مسئولتي الدولة، أكثر من أية عقيدة أو تعليم كنا ننادي فيه. فأن تكون مؤمناً لا يعطيك العذر للتسيب، بل إن المؤمن المتسبب يعتبر منكراً لإيمانه.

(٢) «و(أضيفوا) المعرفة إلى فضيلتكم». ويشير هذا أساساً إلى معرفة إرادة الله ومعرفة كلمته.

(٣) «و(أضيفوا) العفاف إلى معرفتكم». والعفاف هنا هو ضبط النفس. فإن لم تتعلم كيف تضبط نفسك، تصل حتماً إلى مرحلة تتوقف فيها عملية بناء الشخصية.

ويتضمن ضبط النفس كل ما يتعلق بمشاعرك وكلماتك وشهيتك وكل ما ينشئ فيك الدوافع والرغبات.

٤) «و(أضيفوا) الصبر إلى عفافكم». والصبر يشير هنا إلى الدأب والمثابرة وعدم الاستسلام. وهنا أيضاً مرحلة لا يمكن أن تتعدها من دون أن تتعلم الصبر والمثابرة، وإلا، فستكون عرضة للاستسلام في كل مرة توشك فيها أن تنجز مرحلة من مراحل النمو.

٥) «و(أضيفوا) التقوى إلى صبركم». والتقوى هي حساسية روحية بالغة منقادة بالروح القدس.

٦) «و(أضيفوا) الإخاء إلى تقواكم». والإخاء هو المودة الأخوية (كما تبين ترجمات مختلفة)، والمودة أو المحبة الأخوية تتحول إلى شهادة مشتركة أمام العالم. يقول يسوع:

«بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضاً لِبَعْضٍ» (يوحنا ١٣: ٣٥).

٧) «و(أضيفوا) المحبة إلى الإخاء». إنها المحبة الإلهية وهي ذروة المراحل جميعاً. وتبدأ المحبة الإلهية عندما يسكب

الروح القدس محبة الله في قلوبنا، وتأتي المحبة إلى ذروتها من خلال عملية نمو شخصياتنا.

أما الفرق بين المحبة الأخوية والمحبة الإلهية فهي أننا، في المحبة الأخوية، نحب إخوتنا الذين يحبوننا أيضاً، وفي المحبة الإلهية، نحب أولئك الذين يكرهوننا، ويضطهدوننا، وهم - بمجملهم - لا يُحِبُّون ولا يُحَبُّون.

هذا يقودنا إلى قضيتنا الأساسية من جديد (الرفض). كيف تستدل على أنك شُفيت من ذلك الجرح؟ هل تقدر على منح المحبة الإلهية للشخص الذي رفضك؟ هل تستطيع أن تقول لوالدك الذي لم تشعر بمحبته أبداً بأنك تحبه؟ إنها أكثر الأمور غرابة في العالم، لكن محبة الله فائقة للطبيعة، أعلى من كل ما تنتجه مجهوداتنا الشخصية جميعها.

وقد يكون هذا أعظم بركات ما بعد الشفاء؛ فبعد أن تتحرر من مشكلة الشعور بالرفض، يمكنك أن تصبح إناءً فياضاً تفيض منه محبة الله على الآخرين، على أولئك الذين جرحوا أيضاً كما جُرحْتَ أنت.

نبذة عن الكاتب ديريك برنس

ولد ديريك برنس في الهند لوالدين إنجليزين. وتعلم كدارس للغة اللاتينية واليونانية في جامعتي إيتون وكامبريدج، ببريطانيا، حيث حصل على زمالة في الفلسفة القديمة والحديثة من كلية كينج. وقد درس أيضاً العبرية والآرامية، كلاهما في جامعة كامبريدج والجامعة العبرية في أورشليم. بالإضافة إلى ذلك فهو يتحدث الكثير من اللغات الحديثة الأخرى.

أثناء تأديته للخدمة العسكرية في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية، بدأ في دراسة الكتاب المقدس واختبر مقابلة مغيرة للحياة مع المسيح يسوع. ووصل لإستنتاجين من هذه المقابلة: أولاً أن يسوع المسيح حي، وثانياً، أن الكتاب المقدس حقيقي، ومناسب، ومواكب

للعصر. وهذان الإستنتاجان غيرا مسار حياته بالكامل. فمنذ ذلك الحين، كرس حياته لدراسة وتعليم الكتاب المقدس.

ووصل برنامجه الإذاعي «مفاتيح الحياة الناجحة»، لأكثر من نصف العالم ويتضمن ترجمات للغة العربية، والصينية، والكرواتية، والماليزية، والمنغولية، والروسية، والسامون، والإسبانية والتونغا. وقد ألف أكثر من ٥٠ كتاباً، وما يزيد عن ٥٠٠ تعليم مسجل و١٦٠ تعليم مصور، وقد تُرجم ونشر العديد منها بأكثر من ٦٠ لغة.

إن موهبة ديريك الأساسية هي تفسير الكتاب المقدس وتعليمه، بطريقة واضحة وبسيطة. وقد تسبب توجهه اللاطائفي واللامذهبي في جعل تعاليمه مناسبة تماماً وتساعد الأشخاص من كل الخلفيات العرقية والدينية.

إصدارات أخرى لديرىك برنس بالعربية

كتب:

- أسس الإيمان .
- يخرجون الشياطين .
- الكفارة .
- الإيمان الذي به نحيا .
- الحرب في السماويات .
- تلبسون قوة .
- أزواج وآباء .
- الدخول إلى محضر الله .
- تشكيل التاريخ .
- عهد الزواج .
- مواجهة الأيام الأخيرة .
- الشكر التسبيح العبادة .
- العبور من اللعنة إلى البركة .
- أسرار المحارب في الصلاة .
- دراسات شخصية في الكتاب المقدس .
- القوة الروحية المغيرة للحياة .
- ما جمعه الله .
- البركة أو اللعنة: أنت تختار .
- لنحيا ملح ونور .
- قوة اسمه .
- موهب الروح القدس .
- إستقبل وعود الله .
- لماذا تحدث أمور صعبة لشعب الله .
- قدس للرب .
- اكتشف قيمتك في قلب الله .
- الكبرياء مقابل الاتضاع .
- الأمان المطلق .
- رحلة عبر المزامير .
- كتيبات:
- المبادلة الإلهية العظمى .
- الأبوة .
- الدواء الإلهي .
- شركاء مدى الحياة .
- المصارعة الروحية .
- الروح القدس فينا .
- الرفض .
- ومتى صمتم .
- فكر الله نحو المال .
- هل يحتاج لسانك إلى شفاء .
- الخلاص الكامل .
- المحبة المسرفة .
- الصلاة من أجل الحكومة .
- مشيئة الله لحياتك .
- أقوى ثلاث كلمات .
- من المرارة إلى الفرح .
- ثق في نعمة الله .
- رجاء يفوق الألم .
- قوة العشاء الرباني (الأفخارستيا) .
- هل ستنتشف؟ .
- قلب يسوع نحو المحتاجين .
- سلطان وقوة كلمة الله .

للوصول لمواد ديريك برنس على المنصات المختلفة
امسح هذا الكود بالموبايل.



Scan me

إذا طسك الرب من خلال هذا الكتاب شاركنا باختبارك على:



info@dpm.name



Derek Prince
MINISTRIES